

جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

## أدب الرحلة بين رحلة "ابن جبير" ورحلة " آثار وديار"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إشراف:

- ثابتي فريد

إعداد الطالبتين:

- عبوش زاهية

- بوهراوة أمينة

السنة الجامعية: 2019/2018

## شكر و تقدير

الحمد لله الذي بذمته تتم الصالحات، وكرمنا بنعمة العقل وميّزنا به عن سائر  
المخلوقات ووهبنا الصحة و الصبر لنتم هذا العمل

وأقدم بفائق الشكر و التقدير والاحترام إلى أساتذتي بقسم الأدب العربي، ولاسيما  
الأستاذ الفاضل "ثابتي فريد" على إشرافه على هذا العمل، وكذلك على توجيهاته  
ونصائحه السديدة والمفيدة، ورحابة صدره و

صبره معنا لإتمام هذه المذكرة.

إهداء

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث  
الحمد لله الذي منحني القوة لتجاوز كل العراقيل والصعوبات  
لأهديه:

من علمتني أن أكسب الحياة العبد والصفاء  
إلى أمي الغالية.

إلى أبي الذي لطالما جاهد لجعلني أميرة في عرشه

إلى شريك حياتي الذي منحني من بحر عطفه وحبه لطالما منحني القوة

لاستكمال شهادتي. خطيبي وزوجي المستقبلي "يونس"

وإلى أخواتي: غانية، لياس، نسيم، آسيا، عبد الحق، عبد الرحمان إلى من

افتقدتها أختي يسمنة رحمة الله عليهما وإلى أزواجهن نبيل إسماعيل و مصطفى

والأدهم، كريم، سلمى، شهيناز وأريس

إلى العائلتين الكريمتين عبوش وعزوق

إلى صديقاتي: ليديا، باية، وسام، وليدية، وإلى من مدتني يدي العون ليلى

وزوجها.

إلى القدوة والمثل الأعلى الأستاذ المشرف فريد ثابتي إلى كل الأساتذة

الكرام

إلى كل من يساندني من قريب أو من بعيد

## إهداء

درب العلم وسبيل العلماء الذين آمنوني ووجهوني  
الوالدين العزيزين «لهم جناح الفردوس نزلاً» ان شاء الله تعالى آمين.  
أسرتي أعزهم الله العزيز وأبقاهم.  
خاصة أخي طيم وأختي كاتية.  
أطفال الأرض المحتلة الذين يكتبون الحياة الجديدة... بالدم والحجارة.  
صديقاتي حفظهم الله الحفيظ وورعاهم  
الأستاذ المشرف "ثابتي فريد"  
إلي كل من أحب إلي هؤلاء وألك  
اهدي مذكرتي.

مقدمة

ارتبطت كلمة (الرحلة) في صورتها الذهنية، بكل ما له علاقة بالسلوك الإنساني، فيسعى الرّحال من خلاله، إلى تحقيق مبتغيات شتى متشعبة بتشعب الحياة، لأجل راحته وأمنه وسد حاجياته، وكذا الرفع من مستواه المعيشي والحضاري، فالرحلات عالم ساحر من الرؤى، وغوص في المجهول، وعبور للحدود لاستكشاف الأمكنة، فهي انتقال في الزمان والمكان. لذا عرف العرب و المسلمون الأوائل الرحلات، ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية وغيرها من البلدان وجابوا الآفاق، فأبحروا في ارض الله الواسعة، حيث أبحرت سفنهم في اغلب البحار، وداست أقدامهم معظم الأراضي.

وفعل الرحلة يخضع لعوامل مختلفة حسب طبيعة البيئة، من بيئة المرتحل إلى بيئة المرتحل إليهم، كما أنه محفوف بالمخاطر والمغامرات وفضول الاستكشاف، ليجعل منه مادة دسمة، مما انعكس على صياغة تاريخ البشرية وتطور العلوم. وأدب الرحلة نوع أدبي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه أثناء رحلته.

كما ارتبط فعل الرحلة بالسيرة الذاتية، فنجد الرحالة ينقل لنا تفاصيل رحلته؛ من مشاهد وأحاسيس مختلفة، فنجده ساردا قصصا وقعت له أثناء رحلته، وأحيانا تتجسد فيه شخصية الرحالة، وكأنه البطل في هذه الرحلة الطويلة من بدايتها إلى نهايتها، حتى يعود في الأخير إلى موطنه.

اختلفت طرق كتابة الرحلات حسب ثقافة الكاتب وتصوره، ومكان الرحلة وزمانها ونوعها، فإن كان عالما؛ فإنه ينظر إلى الكون والناس والمجتمع من خلال علمه، لذا فإن

الرحلة من بين الأجناس الأدبية الأكثر ثراءً وغنى، وانفتاحاً وتعدداً للأصوات والخطابات، ومن أكثر تجارب العالم الخارجي تعقيداً.

ويعد أدب الرحلات وثيقة تاريخية وجغرافية، يستلهم منها الباحث والدارس، ويعودان إليها ليستلهما مختلف العلوم، لكونها تشكل ثروة معرفية كبيرة، ومادة اجتماعية وحضارية مشوقة، مما يعطي الرحلة السمة الأدبية والقيمة الفنية، فالرحلة تحقق الفضول لدى المتلقي المتعطش للمعرفة والمسامرة والتفاعل مع أحداثها، فيتفنن الرحالة بأساليبه المختلفة، لينتج نص أدب يجسد الخصائص الفنية والأدبية للرحلة.

وقد احتل العرب الريادة في هذا المجال، فبرزت أصوات كثيرة تناولت هذا الأدب نذكر، منها: (أدب الرحلة في التراث العربي)، لفؤاد قنديل، و(مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً) للدكتور سيد حامد النسيانج، و(الرحلة والرحالة المسلمون) للدكتور أحمد رمضان أحمد، وبناء على ما سبق اخترنا أن يكون موضوع بحثنا بعنوان: "أدب الرحلة بين رحلة ابن جبیر وآثار وديار".

انبثقت رغبتنا في هذا لأهمية موضوع البحث، ورغبنا في اكتشاف خبايا هذا الأدب الرحالي، وإسهامه في تشكيل مخزون علمي، يستقي منه كل طالب علم في هذا المجال، إضافة إلى هذا هناك محفز ذاتي، هو ما يحدث اليوم في العالم العربي الإسلامي من أشكال جديدة للرحلة، لما له من علاقة بالأمن الدولي أو السياسي، مثلما يحدث في سوريا والعراق وليبيا وغيرها من البلاد العربية، فنتج عن ذلك رحلات مأساوية، تنكسر لها القلوب، فيرحل

الانسان عن أرضه وأهله وأقاربه كطائر مجروح، تاركا ذكرياته وراء الحدود، فرغم أن الرحلة اليوم قد تطورت بفعل التكنولوجيا، إلا أنها أخذت طريقا آخر عكس ما كانت عليه في الزمن الغابر، حيث كانت تحمل بصمة الأدب والعلم وحب المغامرة والاستكشاف، وهذا ما يثير إشكالية مهمة سيحاول هذا البحث الإجابة عنها، ويمكن أن نحددها في الأسئلة التالية:

1. كيف كانت الرحلة قديما، وكيف أصبحت في العصر الحديث؟

2. كيف تجسدت فيها مظاهر التغيير بفعل الزمن والتطور التكنولوجي الذي طبع

عصرنا؟

3. ما هي أبرز أوجه الاختلاف و التشابه التي أصبحت تميز الرحلة الحديثة عن

الرحلة القديمة؟

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدنا على بعض آليات المقارنة، نظرا لطبيعة الموضوع الذي نعالجه، فهو قائم على وصف وتحليل الرحلتين القديمة والحديثة، لاكتشاف خصائصهما، ثم بعد ذلك محاولة المقارنة بينهما، انطلاقا من نموذجين هما: (رحلة ابن جبير) لابن جبير، و(رحلة آثار وديار) لعبد الله بن صالح السهلي. فهما رحالتان تمثلان القديم والحديث، ولا شك أن ما من أدب يستطيع البقاء على حاله، بفعل الزمن والمكان والتأثيرات الأخرى، وقد قسمنا بحثنا إلى:

مقدمة.



## 1- الفصل الأول:

- أدب الرحلة (لغة و اصطلاحا).
- الرحلة عند العرب والغرب.
- أنواع الرحلات: الدينية، العلمية، الرسمية، التجارية، السياحية.
- خصائص آداب الرحلة: شكلا ومضمونا.

## 2- الفصل الثاني:

- أدب الرحلة بين القديم والحديث.
- 1) أدب الرحلة في القديم ( ابن جبير).
  - السرد القصصي.
  - الوصف.
  - الحوار.
  - مركزية الشعر والقرآن الكريم والحديث.
- 2) أدب الرحلة في الحديث ( أثار وديار).
  - تطور وسائل النقل وكذا عتاد السفر ولوازمه.
  - استعمال آلة التصوير ووسائل الإعلام لنقل المشاهد في الرحلة الحديثة.
  - الوصف والصورة.
  - التاريخ.

- توظيف اللغات الأجنبية وأمّهات الكتب.

- الرحلة والسيرة.

- الشعر في الرحلة الحديثة.

- الترتيب الزمني والمكاني في أدب الرحلة قديماً وحديثاً: الزمان، المكان.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث فتتمثل في قلة المصادر والمراجع، وصعوبة الحصول عليها، وصعوبة البحث في المكتبة، وصعوبة تحميل الكتب بسبب انعدام شبكة الإنترنت، وانقطاعاتها المتواصلة.

وفي الأخير نتوجه بشكرنا الجزيل إلى الله عز وجل ثم إلى أستاذنا الفاضل "فريد ثابتي" تقديراً مئلاً واحتراماً و عرفانا بالمجهودات الجبارة التي بذلها لأجلنا.

# الفصل الأول:

## ا. المصطلح

- المدلول اللغوي للفظـة "الرحلة".
- المدلول الاصطلاحي للفظـة "الرحلة".
- ادب الرحلة عند العرب و الغرب.

## اا. أنواع الرحلات:

- الرحلات الدينية.
- الرحلات العلمية.
- الرحلات التجارية.
- الرحلات السياحية.
- الرحلات الرسمية.

## ااا. خصائص ادب الرحلة:

- الخصائص المميزة للشكل.
- الخصائص المميزة للمضمون.

## I - المطّلع:

### 1-1 - المدلول اللغوي للفظّة (الرحلة):

الباحث المتمكن من موضوعه لا بد عليه أن يحصر المعنى اللغوي بمفردات بحثه، ويكشف عن المدلولات والاستعمالات المتنوعة لها، فقد وردت تعاريف متنوعة للفظّة الرحلة. يحدد (لسان العرب) مفهوم اللفظة انطلاقاً من مادة (رحل): (التّرحيل والتّرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، يقال: رحل الرجل إذا سار، وأرحلته أنا، ورحل رحول، وقوم رحل: أي يرتحلون كثيراً، ورحل رحال: عالم بذلك مجيد له)<sup>(1)</sup>. في كل فعل رحالي يجب أن يكون هنالك أولاً فعل الرحلة أي الانتقال والوجهة، وهو ما يقوم به الرحال فيمكن أن تكون من طرف فرد واحد أي الرحال بذاته أو رحلة جماعة أي القوم.

(الوجهة أو المقصد، والرحلة بالضّمّ: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده)... كما تعني السفرة

الواحدة (الرحلة السفرة الواحدة...)<sup>(2)</sup>.

وتعني كذلك في (لسان العرب): السّير بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر. (والتّرحال

والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال للمسير...)<sup>(3)</sup>. من خلال هذان التعريفان

<sup>1</sup> - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، ج3، بيروت، 1994م، ص1609.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص1609.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص1609.

نفهم أن عندما ينوي الرحالة القيام بالرحلة يحدد منذ البداية الوجهة التي سوف يتخذها أو يتجهها، التي تعني قيام سفرة واحدة كالرحلة إلى الحج مثلا أو البقاع المقدسة.

وقد أكد الوسيط هذا المفهوم بداية من الفعل (رحل): (عن المكان رحلا ورحيلا وترحالا ورحلة: سار ومضى البعير رحلا، ورحلة، جعل عليه الرّحل، فهو مرحول ورحيل، وعلاه وركبه، ويقال: رجل فلان بمكروه، ورحله بسيفه: علاه به، وفي الحديث (لَتَكْفَنَنَّ عَنْ شَتْمِهِ أَوْ لِأَرْحَلْتِكَ بِسِيفِي)، وله نفسه صبر على إذاه، (أرحل) فلان: كثرت رواحله، فهو مرحل، والإبل سمتت بعد هزال، فأطقت الرحلة، وفلانا جعله يرحل، والإبل راضها حتى صارت رواحل، وفلانا أعطاه راحلة، (الرّحَال) صانع الرّحل، (الرّحَال) العرب الرحال:الذين لا يستقرّون في مكان، ويحلّون بماشييتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى، (الرحالة) الكثير الرحلة (والتاء للمبالغة)، (الرّحَلُ) العرب الرّحل الرّحَال، (الرّحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وكلّ شيء يُعدّ للرحيل؛ من وعاء للمناع وغيره، ومسكن الإنسان وما يستصعبه من الأثاث، وفي الحديث (إِذَا ابْتَلَّتْ النَّعَالَ فَالصَّلَاةُ فِي الرّحَالِ)، (ج) أرحل ورحال، ويقال: حطّ فلان رحله، وألقى رحله، أقام (الرحلة)، الارتحال (ج) وبعير ذو رحلة المسلمين وأنتم رحلتي وعالم رحلة يرتحل إليه من الآفاق ويعبر ذو رحلة قوّة على السّير، (الرّحُولُ) كثير الارتحال والرّاحلة<sup>(1)</sup>. ما لا ينكر الدارسون والباحثون أن العرب منذ القديم عرفوا بالرحلة، أي الانتقال من مكان إلى مكان سواء للبحث الماء في الصحراء أو عن حياة أفضل يستعينون في رحلتهم بالماشية لتسهيل الرحلة.

<sup>1</sup> - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004/1425، ص: 334، 335.

أمّا (محيط المحيط) فقد حدّد عدّة معاني لمفهوم لفظة الرحلة أيضا: (الرحلة بالضّم والكسر أو بالكسر: الارتحال، وبالضّم: الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة. والرحيل كأمير: اسم ارتحال القوم ومنزل بين مكّة والبصرة. وراحيل: أم يوسف عليه السلام. ورحلة: هضبة. وأرحل: كثرت رواحله، والبعير: قوي ظهره بعد ضعف، والإبل: سمتت بعد هزال فأطقت الرحلة، وفلانا: أعطاه رحلة. ورحل كمنع: أنتقل ورحلته ترحيلا، فهو راحل من رحل، كركع، وفلانا بسيفه<sup>(1)</sup>. أحيانا تحمل لفظة الرحلة حسب تغير الحركات الإعرابية، وذلك ما يغير في معانيها سواء لدلالة على قيام رحلة واحدة أو أكثر.

ويلاحظ في هذه المادة ما يلي:

أ- (أن مشتقات المادة جميعا تدور حول محور واحد هو الحركة، والرحلة في جوهرها حركة وانتقال.

ب- أن التقلّبات المختلفة للمادة مثل: حرل- لرح- لحر... الخ، غير مستعملة في العربية، ولعلّ هذا يعود إلى استنثار تلك المادة بهذا الترتيب، بالنّصيب الأوفر من حيث الاستخدام، ممّا أدّى إلى الجور على التقلّبات الأخرى. ج- اسم الفاعل من رحل: راحل، وصيغة المبالغة: رحّال. وهذه الصيغة كانت اسما أو لقبا لبعض الجاهليين. كعورة الرّحال الذي كأن سببا في يوم (الفجار)، فكذا أورد (ياقوت) في معجمه هذا الاسم: (رحّال بن عنقرة)<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - بطرس البستاني: محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، 1987، ص: 394.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق المواقفي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

والرَّحْلة لغويا من (يرحل رِحْلاً ورحيلاً وترحالا: ذهب. ورحَّله من بلده: أخرجته منها. وارتحل القوم: انتقلوا، والراحلة: الناقة الصالحة لأن تُركب، والرحلي مركب للبعير أصغر من القَتَب، والرَّحْل أيضا ما يستصحبه المسافر من الأوعية جمعه رحال، والرَّحْلة الجهة التي يقصدها المسافر، يقال: مكأ رُحْلُتْنَا، وهو عالمٌ رُحْلةٌ أي يُرحل إليه<sup>(1)</sup>.

فمشتقات مادة (رحل) كثيرة ومتعددة، وتدلّ على الحركة، لأن الرحلة في الحقيقة ما هي إلا (حركة وانتقال)<sup>(2)</sup>.

الرحلة هي حركة انتقال شخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، ففي معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس: (رحل: الرّاء والحاء واللام أصل واحد. يدلّ على مُضَيِّ في سفر. يقال: رحل يرحل رحلة... والرحلة: الارتحال، ورحلته، إذا ظعنه من مكانه)<sup>(3)</sup>.

ومفاد هذا أن الرحلة هي السير والانتقال، أمّا الرّاحل والرّحال فهو الشخص المنتقل من مكان إلى آخر، وترمي كل هذه الألفاظ والتعريفات إلى معنى واحد هو: المقصد والرحيل والانتقال.

---

<sup>1</sup> - أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ص: 08.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموفاي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص: 23.

<sup>3</sup> - أبو الحسن بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، (مادة رحل)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر،

سوريا، ط 2، 1979، ص: 497.

## 2-1- المدلول الاصطلاحي للفظ (الرحلة):

الرحلة شكلٌ كتابيٌّ يحكي فيه الرحالة أحداث سفره، وما شاهده أو عاشه، وهو نوع من الكتابة التي تكثر فيها الشهادات المدوّنة؛ بأبعادٍ تاريخيةٍ وجغرافيةٍ واجتماعيةٍ واقتصادية، باعتبارها تمثّل وصفاً إثنوجرافياً، والرحلة من الأشكال التعبيرية التي استعملت فيها الكتابة بضمير الأنا دون تحرّج.

ويعرّفها بطرس البستاني بأنها (انتقال واحدٍ أو جماعةٍ من مكانٍ إلى آخر، لمقاصدٍ مختلفةٍ وأسبابٍ متعدّدة)<sup>(1)</sup>. ومعنى هذا: أنها تحوّل فردٍ أو أكثر من موضعٍ إلى آخر، بغير تحقيق غايةٍ أو مصلحة، بفعل عواملٍ مختلفة، كالاحتكاك مع الآخر، ولكن لا يتحقّق ذلك إلا عن طريق الانتقال.

ويضيف أنور لوقا في تحديد مفهوم الرحلة أنها (تمزج التّسجيلات الوصفية والإنشائية التعليمية بالحكاية والتّسجيلية)<sup>(2)</sup>. يقوم الرحال بتسجيل المشاهد والأحداث التي تمر عليه، خلال رحلته بأسلوبٍ ووصفٍ وسردٍ قصصيٍ لهما. لما تحمله من حقائق إنسانية وتاريخية وعلمية وغيرها من اتجاهات.

<sup>1</sup> - بطرس البستاني: دائرة المعارف، مجلد 8، مطبعة المعارف، دط، بيروت، 1884، ص: 564.

<sup>2</sup> - سعيد علوش: الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية، الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية، ضمن مجلة "الثقافة الأجنبية"، (محور

أدب الرحلة)، بغداد، العراق، السنة 9، العدد 3، 1989، ص: 15.

❖ إثنوجرافيا: (الاثنوغرافيا) تعني العرق و الجنس، فرع من فروع الاثروبولوجيا وهو الإنسان، اي وصف الأعراق البشرية ووصف أحوالهم.



فالرحلة شكل من الأشكال الأدبية التي عُرفت في الماضي، يصوّر فيها الرحال ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور، ويركّز وصف هذا المجال الذي يختص به، في حدود العالم الجديد، وهذا الأدب يفتح الطريق أمام تجسيد تقليد الموازنة بين فضائين وقيمتين وصورتين يمثل كلُّ منهما طرفاً مقابلاً للآخر، ليشمل هذا الوصف الوعي واللاوعي.

يعرف الإمام الغزالي الرحلة بقوله: (أنها نوع مخالطة مع زيادة تعب مشقة)<sup>(1)</sup>. فالرحلة حسب الغزاليّ تستدعي جهداً وتعباً ناتجاً عن الحركة والانتقال وذلك عن طريق الاحتكاك بالآخر؛ باعتبار أن سمات الرحلة ومعاييرها الانتقال والحركة والخروج من مكان إلى آخر، لأنها من مقتضيات الحياة المرتبطة بالاختلاط.

ويعرفها صلاح الدين الشاميّ بقوله: (أن الرحلة تظلّ انجازاً أو فعلاً أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه)<sup>(2)</sup>. والملاحظ في هذا التعريف أنه يشير إلى مصطلح الرحلة بذاته يدل على قيام فعل الرحلة، والدعوة بكل إلحاح إلى الحركة والانتقال سواء كان الدافع ذاتياً أو جماعياً أو دوافع أخرى....

وبعبارة أخرى، فإن الرحلة (تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، مادياً كأن ذلك الهدف أو معنوياً، أمّا الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر، وجمعه:

---

<sup>1</sup> - أبي حامد احمد بن محمد الغزالي: احياء علوم الدين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1986، ص 273.

<sup>2</sup> - صلاح الدين علي الشامي: الرحلة عين الجغرافيا البصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، دط،

الإسكندرية، 1999: ص 11.

أسفار<sup>(1)</sup>. وهذا يعني أن الرحلة التي عُرفت منذ القديم، ارتبطت بالاكْتشاف، عن طريق الانتقال من مكان إلى مكان آخر، لغايات ودواعي مختلفة مادّية ومعنويّة، أمّا الحركة فارتبطت بقطع المسافات.

وأشار المسعودي إلى أن الرّحّال (ليس من لزم جهة وطنه، وقع بما انتهى إليه من الأخبار عن إقليميه، كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزّع أيامه بين تَفانف الأسفار، واستخراج كلّ دقيق من معدنه، وإنارة كل نَفيس من مكمّنه)<sup>(2)</sup>.

### 1-3- أدب الرّحلة عند العرب والغرب:

عرف الإنسان عدّة رحلات منذ أقدم الأزمنة، ومن الرّحلات الأولى رحلة آدم عليه السلام من الجنّة إلى الأرض؛ من عالم معلوم لديه إلى عالم مغمور بالمجهول، تنتظره فيه رحلة طويلة لا يعرف عنها شيئاً، سوى تعمير الأرض، والسّعي في أرجائها، إذ جعله الله خليفة فيها، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام، أنواعها وأدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1992:

<sup>2</sup> - المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزء 1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط،

<sup>3</sup> - سورة البقرة: الآية: 30.

وهذا لا ينفي القيمة الأدبية لأدب الرحلة وتغلغله في حياة مختلف الشعوب والحضارات، ممّا أهله لأن يكون وثيقةً أدبيةً ذات قيمة لا تُنكر، لأن الرحالة (ينفعل ويتأثر ويصف، فيصوّر لنا ذلك، من خلال عمله الأدبي)<sup>(1)</sup>. هنا نخلص إلى أن مهمة الرحلة هي نقل وسرد ووصف كلّ المشاهد التي يصادفها كتابها خلال رحلته، بأسلوب أدبي راقٍ، وبطريقة مشوّقة وممتعة.

وأدب الرحلة (هو قصد واضح بانتسابها إلى حقل السرد، باعتبارها كتابة أدبية تتوفر على مكونات سردية وآليات كتابة تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعها في خانة الأدبي، فيما هناك نعت آخر يكتفي بالحديث عن هذا الشكل باسم (الرحلة) فقط، بهدف فتح نافذة إضافة أخرى على التاريخ، اعتبار الرحلة مصدر غميسا، وسجلا اثنوغرافيا يعتبر الرجوع إليه أساسيا في حقل الأنثروبولوجيا<sup>(\*)</sup>)<sup>(2)</sup>. ومجمل القول أن ما ميّز الرحلة هو الطابع السردّي الذي يكون في أغلب نصوص الرحلة، إضافة إلى المعايير التي حملتها إلى جانب السرد؛ والتي من بينها الأبعاد التّاريخيّة والجغرافيّة، ممّا يدلّ على ترتّب هذا الفنّ عل مختلف العلوم.

---

<sup>1</sup> - عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1974: ص 50.

\* الأنثروبولوجيا: (أو علم الإنسان) يدرس أصل النوع الإنساني والظواهر المتعلقة به، ويدرس ثقافتهم

[.https://arz.m.wikipedia.org](https://arz.m.wikipedia.org)

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب الغربي: (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، مكتبة الأدب المغربي، كتابات نقدية،

شهرية، 121، أبريل، 2002، ص: 38.

(نحن نرى في الرحلة نوعاً من الحركة، وهي أيضاً مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان)<sup>(1)</sup>. ومن هنا فإن الواقع الذي يعيشه الناس يثبت ضرورة المخالطة حتى يتمكن الإنسان من تلبية مطالبه واحتياجاته الأساسية، فتكون قيمة الرحلة بوصفها سياحية وثقافية وإنسانية.

(إن الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته، إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا، وأن اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتنوعت مادة الرحلة، ومع ذلك فإن كتابات الرحالة، أياً كانت توجهاتهم الفردية ونزاعاتهم الشخصية، تصوّر إلى حدّ كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه...)<sup>(2)</sup>. ولذا نجد أن أدب الرحلات العربية يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها، وقد برز كثير من الرحالة العرب في رحلات طويلة وأبدعوا في كتابة تفاصيلها.

ورد في معجم المصطلحات الأدبية أن أدب الرحلة هو (مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، صدرت السلسلة، يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري، 1990، 1923، ص: 15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 18.

وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطَّبِيعِيَّة التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كلِّ هذا في أن واحد<sup>(1)</sup>.

وهكذا يمكن القول أن طرفي هذا النوع من الأدب هما: (الموضوع أو الرحلة ذاتها من ناحية، وشخصية الرّحّال من ناحية أخرى... ولعلّ خير أمثلة أدب الرّحلات هو ما يكشف عن شخصية الرّحّال في مركز الانتباه، ففي الطرف الآخر تقع الرحلة الجافة التي تحمل أثر شخصية صاحبها، وتفقد الشخصية المميزة، بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق العارية من السمة الإنسانية التي تميّز العمل الأدبي<sup>(2)</sup>). فالطرف الأول هو الذي يتعامل مع أدب الرحلة، فيكشف الكثير من الرؤى الشخصية للرحالة، حيث تتسع الرؤية البصرية والزمانية في نصوصه.

(فالرحلة إذن ليست سوى تجربة إنسانية حية يتمرس بها، ويجعل التعرّف إلى دقائقها واستكناه خفاياها وكده، فيخرج منها أكثر فهما وأصدق ملاحظة، وأغنى ثقافة وأعمق تأملات...<sup>(3)</sup>)، حيث يكشف الرحّال عن ثقافة الآخرين، ويعبر عن تجاربه الشخصية التي واجهته أثناء رحلته. فهذا يخرج الفعل الرحالي من الغامرة التي عاشها الرحال إلى أشياء أخرى أكثر براعة وإحكام على ما كانت عليه، فهذا يساهم في ضبط معايير الأدب الرحلي لتكون ذات طابع تأملي.

---

<sup>1</sup> ناصر عبد الرزاق الموفاي: الرحلة في الأدب العربي، حتى نهاية القرن 4 هـ، ص: 38.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 39.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

### 1-3-1- الرحلة عند العرب:

عرفت المجتمعات البشرية الرحلة منذ فجر التاريخ، وبذلك فالرحلة قديمة قدم الإنسان؛ فقد بدأ رحلته مشيا على الأقدام، وقد استغرق عدّة قرون في استخدام الدوابّ لنقل الأشياء وتنقل الأفراد، (لقد بدأ الإنسان القديم رحلاته سيراً على الأقدام، ولقد ساعده على ذلك ما حظيت به قدماءه من خصائص تشريحية متميزة عن الحيوان، مكّنته من السير مسافات بعيدة، ومُدداً طويلاً<sup>(1)</sup>)، وأحس مثال على هذا الرّحالة ابن بطوطة الذي قدّم تجربته في السفر مشيا على الأقدام تحدياً لكلّ العراقيين، لتشمل رحلاته عددا كبيرا من البلدان. وكان الترحال والتنقل والهجرة من أهم العوامل لتشكيل الشخصية العربية، التي كانت بدايتها الأولى من السير على الأقدام، لأغراض العيش والاستمرارية، لتتحول وتتطور المادة الرحالية إلى أدب.

كما عرفت البيئة العربية السفر ومارست الترحال في شبه الجزيرة العربية، وقاموا برحلاتي الشتاء الي بلاد الشام، والصيف إلي بلاد اليمن، واللّتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم قال عزوجل بسم الله الرحمن الرحيم: (إيلاف قريش(1) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف(2))<sup>(2)</sup>.

هناك من يرجع الرحلة إلي ما قبل الإسلام، لكن لم يكن ظهورها قويا في الساحة الأدبية إذ ( ان العرب منذ قبل الإسلام كانت لهم تجارة بسيطة، سافروا لها خارج أوطانهم برا و بحرا، واغلب الظن انهم عرفوا الملاحة، والإيجار من قديم، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب افريقية

<sup>1</sup> - حسن محمد فهميم: أدب الرحلات، ص: 33.

<sup>2</sup> - سورة قريش، الآية: 1-2.

في شمالها و شرقها و في شرق الجزيرة حتى الهند و ما وراءها<sup>(1)</sup>. عرف العرب الرحلات التجارية منذ القديم، واحتكاكه مع الشعوب الاخرى مما حتم عليه السفر وتشكيل علاقات تجارية مختلفة. مما نجم عنه تطلعا واسعا لنمط حياة الشعوب (عندما ظهر الإسلام و اطل علي الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، و كلمة الله إلي البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلي السفر و الترحال و الضرب في الأرض)<sup>(2)</sup>. مع فجر الإسلام ازدهرت الحركة الانتقالية للمسلمين والعرب، خدمة للدين ونشره في بقاع العالم فنجمت عن الرحلات لاتعد و لاتحصى.

(يمكن اعتبار القرن التاسع الميلادي، حسب ما هو متوفر الآن بداية التاريخ للرحلات العربية المكتوبة مع اتساع دائرة التأليف في التصنيف وفي الرسائل المتصلة بالمسالك والممالك وغير ذلك، فتعددت الكتابات الرحلية في مجالات ارتبطت بتخصصات مؤلفيها في التاريخ والجغرافيا والأدب والخدمات السفارية وفي فروع أخرى ملتبسة)<sup>(3)</sup>. لقد تعددت الكتابات الرحالية لتعدد دواعي التنقل، مما أثر على انتاجه الضخم في هذا المجال. ومن هنا كان أدب الرحلة علامة مميزة للأدب العربي القديم، ولا يمكن الانفصال بين الرحلة والحياة، كما قاموا بمزج الكتابة الرحالية بالجغرافيا.

---

1- فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص: 25.

2- المرجع نفسه، ص: 29.

3- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، (التجسس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 5

(ارتبطت الرحلة عند العرب بعلم الجغرافيا حيث كان الرحالة يسجل ملحوظاته في كتب

سُميت بالمسالك والممالك)<sup>(1)</sup>. عرف العرب عدة كتابات إبداعية، منها المتعلقة بأدب الرحلات

فهو شكل أدبي يفتح على مجال الجغرافيا ويتفاعل معها، إذ تستمد الجغرافيا أهم مقوماتها من

النص الرحالي. لتتحول الرحلة لذلك إلى وثيقة يمكن أن يستفيد منها المؤرخ والجغرافي والأديب...

فدونت خطابات رحلية تهتم بالجانب الجغرافي، البحري والبري. وذلك وصفا لمعالم ومواقع البلدان

المختلفة، ليدونها الرحالون في كتب عرفت بالمسالك والممالك.

أما فيما يخص الجغرافيا فهي من العلوم الإنسانية التي كان لها السبق في ميدان وصف

الحياة البشريّة، وتعدّ الجغرافيا أحد الفروع لما ينشأ بينهما من تفاعلات، لتتفصل عن أدب الرحلة،

وتصبح شكلا أدبيًا مستقلًا. حيث (استقلّت الجغرافيا كعلم مستقلّ قائم بذاته، أصبحت فناً ولونا

أدبيًا يقوم على علاقة زمنية مكانية تعتمد وصف الرحالة لمشاهداته وعرض الخواطر بدقة)<sup>(2)</sup>.

لا ينكر الباحثون والدارسون فضل أدب الرحلة علي العلوم الكثيرة التي شملتها، لما في ذلك علم

الجغرافيا الذي يعود جذوره الأولى لأدب الرحلة.

وابتداءً من أواخر القرن السادس الهجريّ، عرفت الرحلة العربيّة جغرافية البلدان وآثارها

الحضاريّة، حيث مثل الرحالة محمد بن جبير الاتجاه الأدبيّ أحسن تمثيل، برحلته (تذكرة

بالإخبار عن اتّفاقات الأسفار)، التي وصفها الدكتور حسني بقوله: (أن هذه الرحلة تحوي بعض

المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ، أو جغرافيّ أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمّة

<sup>1</sup> خالد التوزني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 14.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 14.



من حياة الشّرق الإسلامي<sup>(1)</sup>. تعد رحلة ابن جبّير أحد أهم المصادر التي يمكن لكل باحث، أن يستلهم منها مختلف المعلومات التي يستقي منها كل باحث بمختلف الفروع. فالرحلة عنوان لنقل المشاهد عن شعوب البلدان الأخرى.

(اتفق الباحثون على أن الرّحلة العربيّة مرّت بأطوار متعدّدة، حتّى بلغت أوج ازدهارها في القرن الرّابع الهجريّ العاشر الميلاديّ، وهو ازدهار أدّت إليه عوامل كثيرة، كان أهمّها الازدهار الحضاريّ في القرن نفسه)<sup>(2)</sup>. ومن هنا فقد أجمع الباحثون والدارسون على أن الرّحلة العربيّة مرّت بمراحل تطوّريّة متعدّدة، ودليل هذا الإجماع ما وصلت إليه في القرن الرّابع الهجريّ والعاشر الميلاديّ، وما حقّفته من ازدهار.

(القرن الرّابع هو عصر الرّحلة الذهبيّ، ففي هذا القرن، بلغ الأدب الجغرافيّ أوجه في مجال تطوّره الخلاق كحركة مستقلّة بذاتها، وقد بلغ عدد الرّحالة في هذا القرن حدّا كبيراً)<sup>(3)</sup>. فقد ظهر الكثير من الرّحالة الذي قرّروا التّنقل والسّفر، لكلّ منهم أغراضه وغاياته، وأن القرن الرابع هو القرن الذي وصل إليه أدب الرحلة إلى أوجه لارتقاء أدب الجغرافي، مما صنع حركة كبيرة المتمثلة في ظهور عدد كبير من الرحالة.

(انطلقت الرّحلات وتحمّس الكثيرون للسّفر، سواء للحجّ أو طلب العلم أو التّجارة، وفي الإطار الرّسميّ دعت الحاجة إلى تنظيم علاقات الدّولة بالولايات التّابعة لها، إلى إرسال الرّسل

<sup>1</sup> سميرة انساع: كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، د ط، الجزائر، 2009، ص: 42.

<sup>2</sup> - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص: 90.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 50.

والاهتمام بشؤون البريد وتكليف العمال بجمع الجزية والخراج<sup>(1)</sup>. بمعنى أن الرحلات في أغلب الأحيان تعود لغرض الحجّ أو طلب العلم أو التجارة، أو لأغراض رسمية تهمّ شؤون الدولة، وغايات هذه الأنواع الرحليّة كلّها تمنح المسافر روح المنافسة والحماس للتنقّل والحركة.

ونشير إلى أن نشاط الرحلات، والدعوة إليها، في القرن الرابع الهجريّ، نظرة تحفيزيّة لم يألّفها العرب من قبل، بسبب ما شهدته من تطوّرات في هذا القرن، (الرحلة في القرن الرابع الهجريّ شهدت ازدهارا لم تعرفه في القرون السابقة أو اللاحقة، حتّى أن أسس أدب الرحلة وضعت فيه، كما أن كتب الرحلات التي أُلّقت فيه، كانت الأساس الذي قامت عليه الأعمال التالّية؛ سواء في الأدب أو الجغرافيا أو الموسوعات أو المعاجم المتخصّصة)<sup>(2)</sup>. أن ازهي العصور في أدب الرحلة هو القرن الرابع الذي حمل الجديد للأدب وأثره وأعلى شأنه. لما تحمله من معلومات فائقة الجودة. كما الرحلة مرتبطة بمعاريف أخرى كالأدب والجغرافيا أو الموسوعات....

ارتبط هذا القرن بظهور (كتاب مهمّ لأبي زيد البلخيّ (مفقود حتّى الآن)، وأعقبته كتب عن رحلات للاصنطخريّ وقدامة بن جعفر وابن حوقل والمقدسيّ وغيرهم من رحالة وجغرافيّ هذا القرن، مثل الجيهانيّ وزير أمير خراسان)<sup>(3)</sup>. لقد أنتج هذا العصر أعلاما اشتغلوا كثيرا في هذا المجال وأضافوا لأدب الرحلة قيمة أدبية عريقة.

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط1، القاهرة، جمادي الأول، 1423هـ، يوليو 2002 م ص:67.

<sup>2</sup> - حسين محمد فهيم: آداب الرحلات، ص 30.

<sup>3</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 74.

(يشهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد؛ حيث يحتلّ هذه الصفحة، بعض رَحَالَةِ وَجُغْرَافِيّ المغرب الإسلاميّ، إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم على استحياء بعد أن كان قاصرا على رَحَالَةِ المشرق، ومنهم أحمد بن عمر العذريّ الذي ارتحل إلى الشّرق وعاش في مكّة تسعة أعوام، وخلف لنا كتابا سماه (نظام المرجان في المسالك والممالك)<sup>(1)</sup>. دون أن ننسى هنا الإشارة إلى كتاب البيروني بعنوان: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة)، وأهميته العظيمة في هذا الميدان.

وحيث نصل إلى القرن السّادس الهجريّ (القرن 12م). يكاد هذا القرن ينافس القرن الرّابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرّحلة، وإذا كان القرن الرّابع قد تميّز بعدد الرّحالة الكبير، فقد تميّز القرن السّادس بقوة هؤلاء الرّحالة وأهميّة الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتّبعوها في جمع المادّة وتدوين المشاهدات، بما يُعدُّ نقلة حضاريّة كبرى في هذا المجال)<sup>(2)</sup>. لقد سار أدب الرحلة في خط التطور إلى أن وصل إلى القرن السّادس، الذي يجاري بدوره القرن الرابع. مما زاد في حركة الأدب الرحالي أكثر.

عُرِفَ القرن السّادس الهجريّ بالتأليف، إضافة إلى تحوّل منهج الكتابة وأسلوبه (من المشاركة إلى المغاربة الذين عُرِفُوا بعد خوضهم في مجال التّأليف، بتفوّقهم في أدب الرّحلات، وتركيزهم في مؤلّفاتهم على تسجيل أخبار الأدباء، والعلماء في كلّ قطر زاروه)<sup>(3)</sup>. إلى جانب

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل: ادب الرحلة في التراث العربي، ص 74.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 75.

<sup>3</sup> - سميرة انساعد: كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص: 44.

المعلومات التي يدونها الرحال في نصه الرحالي نجده يهتم في ذكر أبرز الأدباء أو الشعراء أو المؤلفات في المكان الذي أنتقل إليه.

أما في القرن الثامن الهجريّ (القرن 14م) (كانت الرّغبة في إثارة الدهشة، سواء لدى الكاتب أو القارئ في كلّ العصور هي الدافع الذي حفّز بعض الكتاب إلى ولوج عالم الكوزموجرافيا، حيث المبالغة في القصّ وسرد العجائب ورواية الأساطير والغرائب، ومن هذه الكتب شهد هذا القرن ظهور كتاب (نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر) لشمس الدين الدمشقي<sup>(1)</sup>. لقد انتقلا لرحال في القرن الثامن إلى عصر جديد لم يتطرق من قبل إليه وهي العجائبية الأساطير و الغرائب

(كانت الرّحلة العربيّة وآدابها إحدى مزايا الحضارة العربيّة، فقد تقلّصت نسبيا هي الأخرى خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (القرن 15، والقرن 16م)، وتوقّفت تقريبا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (القرن 18، والقرن 19م)<sup>(2)</sup>. لقد عرف أدب الرحلة نوعا من الجمود والتقهقر من بداية القرن التاسع إلى الحادي عشر والثاني عشر، لم يعرف عن العصور شيء من الجديد.

---

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 78.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 80، 81.

❖ الكوزموجرافيا: علم أوصاف الكون، أي يبحث عن مظهر الكون وتركيبه علم يشمل الفلكو الجغرافيا و الجيولوجيا.

(البحث عن مكونات الذات الحضاريّة للعرب والمسلمين من خلال تلك الرّحلات التي قام بها الأدباء والمفكّرون والمتصوّفة والحجّاج والعلماء، وغيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربيّة والإسلاميّة)<sup>(1)</sup>. وفي جانب آخر نجد أن أدب الرحلة يصور لنا الحضارات العربية والإسلامية. كثيرا ما نجد في النصوص الرحالية جديد عن الشعوب الإسلامية، وعن الأقاليم وعاداتهم ووضعتهم في بقاع العالم.

---

<sup>1</sup> - خالد التوازني: لرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 9.

(أن ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كل ذلك كان من شأنها أن يشجع على الأسفار والرحلات)<sup>(1)</sup>. أن اتساع الرقعة الجغرافية للمسلمين في العالم وتوسعهم برا بحرا، سمح وسجع للخوض في أسفار ورحلات عديدة. (وشجعت الدعوة الإسلامية طلب العلم، وحرضت عليه وقدرت العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى طلب العلم ولو في الصين، فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان، ثقة وإيمانا بأن من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وقد طلبوا العلم في الدين وفي غيره)<sup>(2)</sup>. كما ارتبط أدب الرحلة بطلب العلم مما شجعه الإسلام لدفع الجهل وتعويضه بالعام والمعرفة.

وتجدر الإشارة هنا أن ابن خلدون قد نوه بأهمية الرحلات، فذكر في مقدمته الشهيرة إذ قال: (والرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال)<sup>(3)</sup>. دعا ابن خلدون إلى ملازمة الرحلة بغية العلم، مما يعود عليه بالمنفعة والمصلحة. (بالكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين جابوا العالم ودونوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورا لما شاهدوه وخبروا في أقاليمه، قريبة وبعيدة لدى النخب العربية المثقفة، ومحاولة التعرف على المجتمعات والناس في الغرب)<sup>(4)</sup>. إذ يعتبر من أعرق الكتابات

<sup>1</sup> - زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص: 6.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل: ادب الرحلة في التراث العربي، ص: 31.

<sup>3</sup> - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص: 80.

<sup>4</sup> - خالد التوازي: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 7.

في ثقافتنا العربية لما تملكه من نصوص مجهولة تم الكشف عنها. حيث تحوي على يوميات وتقاليد وعادات مختلف شعوب العالم، التي تمثل المخطوطات.

(السفر والترحال الذي شجع عليه الإسلام، ونبع أصيل هو البوبقة الإبداعية القصصية

والروائية التي يتميز بها العربي)<sup>(1)</sup>. لقد عاش العربي وهو يمارس فعل الحركة والتنقل، كما أصبحت الرحلة عنصرا أساسيا من عناصر البيئة الجاهلية، تعود لدوافع وغايات معيشية متعددة، فنقول أن أدب الرحلة فن لخدمة الأنواع المختلفة من الآداب علي مر الزمان، لما لها من قيمة عظيمة.

أما في العصر الإسلامي (فقد تطورت الرحلة وصارت فنا عربيا أصيلا في النثر العربي لا

سيما التاريخية والجغرافية. واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشتهم وبمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه المتميز)<sup>(2)</sup>. لقد ساهم الدين الإسلامي في تطور أدب الرحلة وأخذ بيده إلى ابعد الآفاق، ويظهر ذلك في اهتمامه البالغ في تطوير العلوم والدعوة إليها.

---

<sup>1</sup> - سيد حامد النسباح: مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص: 9.

<sup>2</sup> - عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1999، ص: 7.

## 2- 3-1- أدب الرحلة عند الغرب:

تستمد الحضارة الأوروبية من الحضارة الإسلامية وذلك عن طريق التفاعل والاحتكاك بينهما. ولم يكن أمامها مصدر حضاري آخر ينهلون منه غير الحضارة الإسلامية بكل اتجاهاتها المختلفة.

(فهي رحلات ذات طابع ديني، تبشيري، أو ذات طابع عسكري، أو ذات سمة سياسية، أو جاءت لأغراض علمية واستكشافية وفي العموم نظر الرحالة الغربيون إلى الأماكن التي زاروها من منظورهم الخاص، لذا أوردوا بعض الملحوظات التي قلما أثارت انتباه الرحالة الغرب الذين زاروا الأماكن نفسها)<sup>(1)</sup>. لقد أضفى لرحالة الغربيين عن بعض الغايات والأهداف، ولم يصرحوا بها وتنكروا على أشكال مختلفة أثناء رحلتهم إلى شبه الجزيرة العربية مما خرجوا فيه عن قواعد وآداب أدب الرحلة. أي تعددت غايات الرحلة لما كانت مبنية عليه سابقا.

ويقول الدكتور العسكري (معظم الرحالة الغربيين الذين جابوا مناطق الجزيرة أو خاصة بلاد الحجاز عمدوا إلى إخفاء شخصياتهم الحقيقية، وتنكروا خلف أسماء عربية وأظهروا مهنا لا يعرفونها أصلا، نستثنى من أولئك نفرا قليلا، يأتي على رأسهم البريطاني تشارلز مونتاج دوأتي Charlesmontagedoughty، وهو ليس فقط يعلن عن اسمه الحقيقي في معظم الأحيان، بل فوق هذا لم يأت للجزيرة لحساب دولة أو رئيس دولة، لقد كان دأوتى من المغامرين وحسب،

<sup>1</sup> - ناصر محمد الزمل: افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والإستشراق في الجزيرة العربية، ص: 8.



كان رجلا متدينا، وأن قلت مأخوذا بقصص العهد القديم لدرجة الذوبان فيها فلن أتجاوز الحقيقة<sup>(1)</sup>.

(وثمة مثال انجليزي ينصح المسافر بان تكون عينا صقر ليرى كل شيء، وإذنا حمار ليسمع كل شيء، وفم خنزير ليأكل أي شيء، وظهر جمل ليتحمل أي شيء، وسباقا معزة لا تتعبان من المشي، وأن يحمل معه حقيبتين مملوءتين بالملل والصبر)<sup>(2)</sup>. فلا بد أن يدرك المسافر التحديات ونبغي أن يتقبل كل الصعوبات التي تواجهه في رحلته، ويتجاوز الصعاب ويتحمل مشاق السفر وأن يجعل تنقله ممتعا وفيه إثارة لينفي الملل والقلق.

(الإشارة ما إلى أن عددا كبيرا من الرحالة الأوروبيين قد أسهموا إسهاما إيجابيا بتقديم معلومات مفيدة ومعرفة بالشعوب غير الأوروبية لم يكن متوفرة من قبل وقد قرأنا في تقديم الشيخ حمدا الجاسر لترجمة كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) للكتابة الفرنسية جاكلين بيرين، براره النتائج الإيجابية لعدد من الرحلات الأوروبية في الجزيرة العربية يقول في هذا الصدد: وقد لا يحتاج القارئ للسير معها في ثنايا الكتاب لإدراك الجوانب المهمة من نتائج تلك الرحلات كالكشف عن آثار الحضارة العربية القديمة في جنوبي الجزيرة)<sup>(3)</sup>. كما ذكر الجانب الإيجابي للرحالة الأوروبيين في الساحة الأدبية والعالمية، قدموه من انجازات ثمينة وبحوثات في خزينة التراث

---

<sup>1</sup> - ناصر محمد الزمل: افتتاحية مسييون في مكة المكرمة، ص: 13.

<sup>2</sup> - سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص: 101.

<sup>3</sup> - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص 12.

العرب، فلا أحد ينكر فضل المستشرقين تتقيب البحث والتطرق إلى عدد كبير من الدراسات المتعلقة بالحضارة العربية وخير دليل الكشف عن عدد كبير من المخطوطات.

يعد ماركوبولو أشهر رحالة أوروبا ويشر هذا إلى وجود الرحلة عند الغرب وبين مالها من أثر على الرحالة، ومن هذه الرحلة الصعبة، اكتشف ماركوبولو الكثير من المغامرات ويدون هذه الروايات والأحداث، كما يصفها في كتابه ليترك تجربة مدونة مسجلة، وقد أثر هذا الكتاب على المغامرين والتجار، كما كانت تلك التجربة التي ألهمت خيال الأوروبيين وحفزتهم لاكتشاف العالم. واكتشاف الأقطار المجهولة منه. حيث (كان ماركوبولو قد صاحب والده وعمه في رحلاتهما الشهيرة. صوب الشرق حتى بلاد الصين، ولما عاد كان في جعبته الكثير من الروايات والأحداث وحظى دونهما بالشهرة وزبوغ الصيت، بل دخل من التاريخ كاعظم رحالة أوروبي في العصور الوسطى وكأحد مشاهير الرحالة والمكتشفين عبر الزمان)<sup>(1)</sup>.

(ولقد اكتشف بولو عالما جديدا يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي عاش فيه في

أوروبا)<sup>(2)</sup>. فهذا يبين ما توصل إليه الرحالة من اكتشافات جديدة في العالم.

فقد (شهدت أوروبا منافسة حامية في الملاحة البحرية، واستبق في اكتشاف

الأماكن والأقوام ولقد كان للسياسة التوسيعية لأوروبا، وفتح الأسواق التجارية خارج القارة أثر

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهميم: ادب الرحلات ، ص:21.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 21.

كبير تزكية هذه المنافسة، وفي التوسع في الرحلات البحرية<sup>(1)</sup>. أن المبادلات التجارية التي عرفت أوروبا فتحت أبواب الرحلات الملاحية، مما أظهر كشوفات عديدة لأماكن مختلفة. (وهناك نوع آخر من الرحلات ظهر في العصر الحديث قام بها أصحابها بحثًا عن الذات، وهروبًا من واقع غير مستحب لأنفسهم، لقد شهدت أوروبا بالذات هذا النوع من الرحلات وذلك مع بدايات التحول والتبدل في القيم والأحوال الاجتماعية والفلسفات الإنسانية خصوصًا إبان القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين)<sup>(2)</sup>. وهي رحلات ذات رؤية قاصدة ومحدودة في نطاق مجدد في نفسية الفرد، وهذا النوع من الرحلات غرضه اكتشاف الذات والبحث عن الهوية، ويختلف تمامًا عن فكرة الرحلات الأخرى.

(من المعروف أن تهافت المغامرين والمكتشفين من الأوروبيين، والبعثات العلمية لارتداد بلاد المشرق عامة والإسلامي منه بصفة خاصة، إنما حدثت عندما انتهى الحكم الإسلامي في الأندلس، هذا فضلًا عن الكشوف الجغرافية التي بدأها البرتغال وإسبانيا في أوائل القرن السادس عشر وذلك بالدوران حول القارة الإفريقية واكتشاف رأس الرجاء الصالح)<sup>(3)</sup>. فان البدايات الأولى الحديثة يكون منطلقها من أوروبا، المتمثلة في البعثات العلمية إلى العالم الإسلامي.

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم: ادب الرحلات، ص: 32.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 40.

<sup>3</sup> - سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص: 14.

## II - أنواع الرحلات:

إذا ما اطلعنا على أدب الرحلات العربية فإنه يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة. وذلك بالاكشاف والتسجيل الحقيقي لمظاهر الحياة المختلفة ومفاهيم أهلها. حيث يقول صلاح الشامي: (أن الرحلة اعتباراً من القرن السادس الهجري (العاشر ميلادي) انطلقت على أوسع مدى، وتجاوزت ديار المسلمين. على أمل أن تحقق أهدافاً متنوعة. اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة)<sup>(1)</sup>.

فقد عرفت أنواعاً كثيرة من الرحلات لهذا كانت عنايتهم بها عظيمة، حيث أبدعوا في تدوينها وكتابتها تسجيلاً كان أو وصفاً، فذهب بعض الدارسين لتصنيفها، إلا أنهم اختلفوا في ذلك، فخصص صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة (ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام، وهي: رحلة التجارة، ورحلة الجهاد، ورحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والطواف)<sup>(2)</sup>. إذ عرف العالم ثلاثة أنواع من الرحلات قبل الإسلام وهي الرحلات التجارية هدفها لا يخرج عن نطاق اكتشاف أسواق جديدة ورحلات الجهاد جعلت للقتال أسساً واضحة، وأهدافاً مشروعة وشروطاً ومصالح إنسانية نبيلة يجب أن تحترم. وثالثاً الرحلات السفارية، وهي رحلات تكليفية تصدر بأمر من السلطة الحاكمة، والثلاثة الأخرى

<sup>1</sup> - صلاح الدين على الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميداني، ص: 114.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 112 - 114.

بعد الإسلام منها رحلة الحج وهي رحلة روحية إلى بيت الله الحرام، ورحلات طلب العلم أو ما يعرف بالرحلة العلمية حيث حث النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج لطلب العلم ورحلات التجول والطواف في الأرض أو الرحلة السياحية فقد وضع الإسلام قانون حرية الحركة.

وفي تصنيف الرحلات (فريق اتبع النهج التاريخي، فلجأ إلى الفترة الزمنية محكم، وغيرهم خلط بين المنهجين: التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج أنواعا لا رابط بينها. وفريق ذهب يعدد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل، وفريق أخير اقترب من الحق)<sup>(1)</sup>. لقد اختلف الدارسون والباحثون في طريقة تحديد أنواع الرحلات. واتخذ كل طرف منهاجا يستتبط فيه هذه الأنواع ويستند إليها في تحديدها وعددها لنا ومنهم من أصاب أو اقترب إلى ما هو أدق.

## 2-1- الرحلات الدينية:

أن الرحلة كلفظة ذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة، في سورة قريش في قوله الله تعالى ﴿إِيْلَاف قريش(1) إِيْلَافهم رحلة الشتاء والصيف(2) فليعبدوا رب هذا البيت (3) الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (4)﴾<sup>(2)</sup>. بحيث كانت التجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات، لمعرفة طرق التجارة البرية والبحرية، وذلك لتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق المواقى: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص: 31.

<sup>2</sup> - سورة قريش، الآية: 1 - 2 - 3 - 4.

والبقاع، وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم في رحلتي الصيف والشتاء والتي يقوم بها أهل مكة صيفا إلى اليمن وشتاء إلى الشام من أجل التجارة.

ذكرت لفظة: (رحل) في الكتاب المنزه في قوله: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه، ثم إن مؤذن أيتها العير أنكم لسارقون﴾<sup>(1)</sup>. ومعنى (رحل) هنا البعير أي ما يوضع على البعير الذي يصلح للارتحال والركوب، فلما جهزهم يوسف وحمل إبلهم بالطعام، أمر عماله، فوضعوا الإناء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه (بنيامين) من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبوا ليسروا نادي مناد قائلاً يا أصحاب هذه العير المحملة بالطعام، أنكم لسارقون.

وفي قول الله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾<sup>(2)</sup>. فهذا يبين مدى حاجة النفس الإنسانية إلى التنقل من مكان إلى آخر، كما تشكل فكرة الارتحال مادة أساسية في البحث والاكتشاف، والاطلاع على الغرائب. لذا يمكن التعرف إلى عالم مغاير، وخوض تجارب مختلفة. وقال عز من قائل: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (17) وإلى السماء كيف رفعت (18) وإلى الجبال كيف نصبت (19) وإلى الأرض كيف سطحت﴾<sup>(3)</sup>. تعد الإبل رمزا للحركة والتنقل عند العرب، فكانت أهم وسيلة لسفر عندهم والتي تقوم عليا رحلاتهم.

(فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأ الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تنسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها

<sup>1</sup> -سورة يوسف، الآية: 70.

<sup>2</sup> - سورة غافر، الآية: 81.

<sup>3</sup> - سورة الغاشية، الآية: 17 - 19.

وهي تعميم الأرض<sup>(1)</sup>. يعني أن الرحلة مرتبطة بالحياة الإنسانية، فلا تصوير لفرد درن حركة وانتقال لما لها من تأثير من الناحية الجسدية والنفسية للإنسان.

(خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك والجسم القوي

الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر)<sup>(2)</sup>. لقد سخر الله للإنسان شروط السفر سواء في العقل أو القوة البدنية أو الماشية لتعينه في رحلته الطويلة في الأرض، سعيا عن حياة أفضل.

وإذا عرجنا إلى السنة النبوية نجد أن النبوة متعلقة بالرحلة حيث: (ارتبط مفهوم النبوة

بمفهوم الخروج أو الهجرة أو العبور. يدل على الأثر: فلا كرامة لنبي في وطنه)<sup>(3)</sup>.

ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة قيس بن ساعدة بعكاظ وفيها قوله: (أن

السماء، لخبرا وأن في الأرض لعبرا)<sup>(4)</sup>.

(أن الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد ارتبطت بدوافع نفعية كثيرة مثل

التجارة والبحث في سبل آمنة للعيش أو لمشاهدة آيات الله في الأرض، والتدبر فيها ثم تبليغها

للآخرين ممن حرموا نعمة مشاهدتها، وكذلك القيام بالحج والعمرة وطلب العلم من منابعه

وأصوله في سبيل الله ونصرة دينه)<sup>(5)</sup>. فالرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية إذن راجعة لمنافع

---

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 17.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - عمر بن عبد العزيز السيف: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، المركز الإسلامي الثقافي،

ط 1، بيروت، لبنان، 2009، ص: 70.

<sup>4</sup> - احمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، ص: 6.

<sup>5</sup> - سميرة انساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص: 17.

وفوائد عديدة، فقد وجدت الرحلة للعيش والتعايش، وذلك بالتطلع على خلق الله للأرض. كما يعتبر الحج والعمرة أهم محفزين لسفر والتنقل لذلك ساهمت في إثراء النصوص الرحالية بما أبدعه الرحالة المسلمين الذين كانوا رجال دين.

ولقد كان الحج أهم رافد أدب الرحلات والحافز الذي يدفع المسلمين للقيام به ثم السفر ورؤية البلاد وما فيها الباعث له على مواصلة رحلته إلى مداها. فالدعوة إلى حج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الله إبراهيم-عليه السلام-فقال تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم من دخله كأن آمننا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾<sup>(1)</sup>. فللحج أهمية عظيمة في أركان الإسلام فهو يحمل في حقيقته معاني كثيرة، ودافع للحركة والتنقل. لقوله تعالى: ﴿وإذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾<sup>(2)</sup>. أن الحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس من كل مكان.

والحج طقس ديني شائع وموجود في كثير من الديانات، كما يخلق فرصا كثيرة للمنفعة. ومن هنا اتسعت خريطة الكتابة عن رحلات الحج، فنقل الرحالة أخبار الحج ومن أشهرها رحلة ابن بطوطة (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). ورحلة ابن جبير الشهيرة (تذكرة بالإخبار عن الاتفاقات والأسفار) وغيرها ممن سعى لنقل أخبار البلدان الإسلامية.

السرد والوصف حاضر في الرحلة تعبيرا وشكالا، من خلال ارتحال أغلب الرحالة للأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج، كما فجر الحج مواهب الرحالين لوصف (وسرد كثير من القصص

<sup>1</sup> - سورة آل عمران: الآية، 97.

<sup>2</sup> - سورة الحج: الآية، ص: 27.



والأخبار التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبلهم، ودون بعض الحجاج واسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم<sup>(1)</sup>. لجمع فتاوى الحج والعمرة في كتب عن طريق عملية السرد والوصف. لساعد هذه المدونات على تعليم مناسك الحج والعمرة، بتوفير شرح مبسط عنها مستعينا بخرائط توضيحية لتسهل توصيل المعلومة، كما صخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد، وطبيعة مزاجهم وأسس اقتصادهم، وبنابيع ثروتهم.

## 2- 2 - الرحلات العلمية:

يعد أدب الرحلة من أهم الفروع الأدبية التي لها علاقة بالعلوم الأخرى فقد عرف في أدب الرحلة بالرحلات العلمية، التي تعود بداياتها الأولى إلى بداية انتشار الإسلام فمن (عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية)<sup>(2)</sup>. تعود الانطلاقة الأولى لأدب الرحلات إلى بداية انتشار الإسلام، هدفها علمي يهدف لجمع المعلومات، فقد عظم الشارع من شأن طلب العلم، فجعل لكل فرد الرغبة في التعليم، فالداعي الأول لنشوء الرحلة غايته العلمية كشف الكون، وتكون هذه الرحلة إما داخلية لا تستدعي المبيت، أو خارجية خارج المنطقة. تستدعي قطع

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، د ط، مصر، 1954، ص: 8.

<sup>2</sup> - إسماعيل زردومي: فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور عبد الله العشي، جامعة باتنة،

المسافات الطويلة لغرض تعليمي لأن (الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد في كمال التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم. وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء، وتارة آخر بمحاكاة)<sup>(1)</sup>. فالرحلة وسيلة من وسائل الحصول على المعارف وتحصيل العلوم، غرضها طلب العلم من الانتقال إلى كبار العلماء والمشايخ بمعنى أن يجعلوا بحملة من العلوم تكفيهم في تأسيس معارفهم، كما استجابت الرحلة في طلب العلم لاكتساب هذه الفوائد والكمال. لتكون هذه الرحلات العلمية إحدى ثمرات الحضارات الإسلامية.

قال ابن خلدون في مقدمته: (والرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ، مباشرة الرحال)<sup>(2)</sup>. يؤكد ابن خلدون على أن الرحلة بالطابع العلمي، لما يحمله من أهمية كبيرة. فالعلم سلاح كل فرد لأنه يساعد على التفكير ومواجهة كل المعلومات.

وأهم رحلة علمية الرحلة الدينية التي وردت في رحلة موسى مع الخضر -عليهما السلام- يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا ابْرَحْ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا إِنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ إِذْكُرُهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِيعُ

<sup>1</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، جزء 1، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط 2، بيروت،

2000، ص: 539، 540.

<sup>2</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، ط 1، الدار البيضاء، المغرب،

2005، ص: 226.

فارتدا على آثارهما قصصًا (64) فوجدا عبدًا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (65) قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمين مما علمت رشداً (66) ﴿(1)﴾. هذا يدل على أن طلب العلم في الإسلام من أهم الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، وله مكانة عالية لأنه ذو غرض تعليمي.

وما نسبه الربيع بن سليمان إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي ومن أشهر الرحلات لطلب العلم في القرن الثاني الهجري في قولهم (وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد العجم وألقى الرجال، حتى كتبت وأنا ابن إحدى وعشرين سنة)<sup>(2)</sup>. وجود الرحلة العلمية أدى إلى ظهور العديد من الرحلات، التي يعود غرضها إلى طلب العلم والمعرفة، فالفعل الرحالي غالباً ما كان من قبل الشباب القابلون على الحياة والغامرة، وذلك أن يستقو علمهم من مشايخ كبار.

كما وردت في السنة النبوية الشريفة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)<sup>(3)</sup>. وهذا يعني أن على طلب العلم من تحملاً المشقة في السفر. ومن مظاهر التحمل والصبر الرحلة في طلب العلم والتفرغ لها كلياً.

ومن رحلات العرب الإسلامي ما (اتسمت بالطابع العلمي التوثيقي، يمكن أن نلاحظ هذا في رحلات ابن رشد، والعبدي، والبلوي، وابن خلدون، والقلصادي...) <sup>(4)</sup>. فقد شهد أدب الرحلة

<sup>1</sup> - سورة الكهف، الآية: 59-66.

<sup>2</sup> - محمد إدريس الشافعي: رحلة الشافعي، المطبعة السلفية، د ط، القاهرة، 1350، ص: 18.

<sup>3</sup> - مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، متون الحديث الشريف، دار الكتب العلمية، د ط، ج 17، بيروت، 1992، ص: 19.

<sup>4</sup> - الحسين الشاهدي: أدب الرحلة في العصر المريني، جزء 1، منشورات عكاظ، ط 2، المغرب، 2002، ص: 48.

عدة رحلات لرحالين مشهورين، كما احتوت الرحلة على مادة ضخمة اتّسمت بالطابع العلمي التوثيقي، كسب ثقة القارئ لأن المعرفة العلمية وجدت وراء الرحلة فمن فضلها أنها حفظت جانبا عظيما من العلوم.

## 2 - 3 - الرحلات التجارية:

أدب الرحلة عند العرب عرف منذ القديم فساحوا في البلاد بهدف التجارة وللتجارة في الإسلام تراث ذو تاريخ طويل حيث أن (ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الإسلامي)<sup>(1)</sup>. يعني أن الرحلة كانت وسيلة للتجارة، وتعد هذه الرحلات من أشهر الرحلات التي عرفها العرب قبل وبعد الإسلام، ومارسها على نطاق واسع منذ أقدم العصور وبذلك كانت التجارة، من العوامل التي تشجع على الرحلة وتفعيلها، لهذا ازدهرت حركة التجارة منذ أن عرف الحياة على الأرض، وارتبط بها، فامتدت شبكة التجارة في الحضارة الإسلامية إلى أرجاء البلاد في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية ومارسوها سعيا لطلب الرزق.

---

<sup>1</sup> - زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص: 6.

فهذا بحكم الوضع الإستراتيجي للوطن العربي الذي يتوسط (قارات العالم القديم، الذي كان مركز الالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، كما أن انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية، جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما)<sup>(1)</sup>. كرحلة الشتاء والصيف ورد ذكر بهذه الرحلة في القرآن الكريم وذلك في سورة قريش. فهاتان الرحلتان تجاريتان، كانت قريش تجهّزهما في هذين الفصلين كل سنة: شتاء إلى بلاد الشام، وصيفا إلى بلاد اليمن. وتشكل مركز التقاء وتواصل مختلف الرحالة ومختلف الحضارات العالمية. فهذا جعلها مركزا مهما في التحكم بطرق التجارة القديمة.

فالتجارة العربية هي شبكة للتجارة البرية والبحرية فخرجت الرحلة التجارية عن إطار الرحلة البرية إلى الرحلة البحرية التي لها نصيب في حياة العرب، بسبب إحاطة الجزيرة العربية بالتجارة من ثلاث جهات (إذا كانت انطلاقات الرحالة ميناء سيناء بالبصرة، فموانئ الخليج العربي... إلى الهند والصين حتى جنوب شرقي المحيط الهندي، فكأن لتلك الاتصالات الموجودة بين العرب والسكان الموجودين في الصين والهند دور كبير في الترابط التجاري، مما سهل على الرحالين بحكم العلاقات أن يدرسوا تلك الأراضي)<sup>(2)</sup>. هذا له الفضل في تحسين وتطور الأوضاع الاقتصادية، وتحقيق أهداف التنمية و الاستفادة من تجارب وخبرات الأجيال الماضية التي مر بها

---

<sup>1</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط 1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص: 46.

<sup>2</sup> - إبراهيم شوكة: الجغرافيا العربية حتى نهاية القرن العاشر ميلادي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990، ص: 68.

ليصل إلى ما هو عليه اليوم وهذا ما أهّل الرحلة أن تكون عنصرا أساسيا ومهمًا، تحفل بالمعلومات الاقتصادية حول الأسعار والعملات المتداولة والقدرة الشرائية.

(البحر الهندي، حيث اتجهوا شرقا نحو الهند، وغربا صوب إفريقيا)<sup>(1)</sup>. وعلى ضوء ذلك يمكن أن نفهم أن هذه الرحلات التي تقوم بها الرحالة إلى البحر الهندي، كانت تحدث قبل مجيء الإسلام، وبعد الفتحات الإسلامية تنوهج نور ليوسع آفاق الرحلة العربية، وعدد دوافعها.

#### 4- الرحلة السياحية:

تعتبر السياحة من ضمن الحاجات التي تلبي الراحة النفسية للإنسان، والتي أساسها الحاجة الاستجمام والترويح عن النفس، لما تساهم به في زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي بمختلف عاداتهم حيث (تعد السياحة أداة للاتصال الفكري وتبادل الثقافة والعادات والتقاليد بين الشعوب، وأداة لإيجاد مناخ مشبع يروج للتفاهم والتسامح بينهم، كما تعبر كذلك على أنها أداة للتبادل المعرفي بتداول العلوم والمعارف)<sup>(2)</sup>. ومن تلك الرحلات سنتمكن من إيجاد برامج وأنشطة سياحية مختلفة.

فالفرد ينبغي أن يكون سفره وتنقله بمحض اختياره، أي أن يكون حكمه ذاتي وتكون الرحلة السياحية في سياق البحث الذي تدرج فيه الحرية بكل أشكالها والبحث عن الحرية في

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، عدد 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،

1989، ص: 79.

<sup>2</sup> - مخلوفي عبد السلام: دور السياحة في التنمية المحلية، الملتقى الدولي حول واقع ومستقبل الصناعات التقليدية في الجزائر،

دار الثقافة، بشار، 2003، ص: 4.

الفكر البشري<sup>(1)</sup>. ومن هنا نستخلص أن الرحلات السياحية من أفضل الرحلات التي يمكن للفرد أن يقوم بها، انتقالاً من موقع إلى آخر لغرض الترفيه والاكتشاف.

## 2-5- الرحلات الرسمية:

الرحلات الرسمية يكلف بها الرحالة من قبل الحكام والملوك، ليمثلوا دولتهم أحسن تمثيل ويكون عنوان لرقبها متعلقة بدوافع مختلفة منها: (تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخباره، فقد تكون في إطار التجسس أو الاستطلاع)<sup>(2)</sup>. في الرحلات الرسمية تكون هناك أهداف حقيقية مباشرة، وأهداف خفية إذ أن الرحال هو مكلف بتنفيذ عمله من قبل المؤلف.

فكل دولة تقتضي نظاماً وقوانين رسمية تسيير عليها، لأنها تتبني على أسسٍ ومعايير ثابتة، (اقتضت ضرورة الحكم والإدارة، وتقدير التراث وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص للقيام برحلات تفقدية لجميع البيانات والحقائق، وتقديم التقارير، سواء أطلق على النشاط صفة (الجغرافيا الإدارية)، أو (كتابة تواريخ الأقاليم)<sup>(3)</sup>. هذا ما يدل على إعطاء الحكام مهام هامة ولها جودة عالية تتطلب قدرة الأفراد على ممارستها ينبغي عليهم القيام بها. فالرحلة وسيلة من

---

<sup>1</sup> - ينظر: حسين نصار: أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 1، نونجمان، مصر، 1991، ص: 5.

<sup>2</sup> - سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: الشريف مربيبي، جامعة الجزائر، 2006/2007، ص: 20.

<sup>3</sup> - حسين محمد فهم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، عدد 138، ص: 81.

الوسائل التي يعتمد عليها هؤلاء الأشخاص إتمام أعمالهم الموجهة من قبل الملوك وأدائها قيم عن طريق جولات تفقدية لجمع البيانات والحقائق.

والحديث عن الرحلات في عهد من العهود، فنتحدث عن الرحلات الرسمية التي جاءت بمجيء الإسلام، المتكون من رحلات تكليفيّة، إداريّة وسفاريّة. (ويدخل هذا في باب التكليف بالرحلة للحاجة أيضا إلى المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام)<sup>(1)</sup>. أن أي دولة قائمة على التوسع يتطلب منها تحضير تقارير وعهود رسمية حول تلك البلدان المستهدفة وانجاز تقارير كاملة شاملة لكل التفاصيل وهذا ما يدعو إلى توكيل فرقة رحالية مختصة هذا المجال.

ولا شك أن الرحلة في الرحلات الرسمية من الأمور العظيمة التي هي من أسباب التطور والنهوض نحو الازدهار والرّقي، مما زاد من حركة المستوى الرسمي للرحلات السفارية لأنها (وليدة التقدم الحضاري، ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها من أجل التفاوض فيما بينها، وكان هذا التفاوض يطال مجالات شتى)<sup>(2)</sup>.

بمعنى أن للرحلات السفارية دورا كبيرا في نهوض مسالك وطرق الحضارة العربية بكل أشكالها، بل يمكن القول من جميع نواحيها المختلفة، واكتسبت الحضارة تطورا كبيرا، وبذلك انفتحت أمام الدول مجالات واسعة، فاتّسعت آفاقها، وزادت إمكانياتها، لذا عمدت إلى تكليف مندوبين عنها إلى الدول التي سجلت نتائج ايجابية، وامتدت حضارتها لأمد طويل.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص: 91.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب الغربي حتى نهاية القرن 4 ص: 33.



ومن هنا نستنتج أن للرحلة أثرا في المنطقة العربية كلّها؛ فقد (تأثرت المنطقة العربيّة بالأديان السماوية الثلاثة اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، وكانت لسير الأنبياء وقصصهم أهميّة عظيمة في تكوين فكرهم الديني والثقافي بشكل عام، ومنهم رحلاتهم الفرديّة والجماعيّة)<sup>(1)</sup>. لقد تنوعت الرحلات في العالم العربيّ يتنوع الديانات في أراضها المختلفة. فبطبيعة الحال هذا ينجم عن ظهور رحلات ذات أهداف منكرة كانت أم معلنة خادمة لهذه الأديان سعيا لنشر معالمها الدينية.

### III - خصائص أدب الرحلة:

يعتبر أدب الرحلة من أقدم أنواع الأدب المعروفة عند العرب، وقد اهتموا بهذا النوع من الأدب اهتماما واضحا، فتم تحديد العديد من خصائص أدب الرحلة للتعرف على المناطق والبلدان، وذلك عن طريق الاحتكاك معهم حيث يساعدهم هذا للاطلاع على ثقافتهم وعاداتهم وأحوالهم، ويعتبر أدب الرحلات مصدرا مهما للدراسات التاريخية، وخصوصا بالنسبة للعصور الوسطى، لما يحمل من أسس وخصائص لانطلاقه لارتياح أقطار جديدة، واكتشاف أحوال الأمم والتعرف إلى الآخر المختلف إذ يتجاوز الرحالة مسافات طويلة (إذ تتضمن الرحلات بأنواعها، مكاشفات تمزق حجاب المستقبل في شكل إخباري من طرف شخص آخر أو النفس التي يخطر

---

<sup>1</sup> - عمر بن عبد العزيز السيف: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز، ص: 70.

لها<sup>(1)</sup>. ومن هنا يمكن القول أن الرحالة يقوم بسرد وكتابات في رحلاته تخصه هو، وتحليل رحلته وحياته وكل ما يستحضره عبر هذا ويذكر ويتضمن رحلاته وذلك عن طريق تدوينها.

(حضور الرحلة باعتبارها عنصرا محركا في الأشكال السردية، وبعض الأشكال الأخرى

الاجتماعية، وهي أداة تخلق الفعل والحدث، والإثراء للبعد الخيالي والتشويقي)<sup>(2)</sup>. حيث تشتمل

البنية السردية عنصر أساسي في أدب الرحلات، ووجود هذه الأخيرة في كل شكل سردي، وغيرها

من الأشكال، عنصرا فعالا في تحركها، لأن الراوي هو من يتكفل داخل النص السردى بسرد

الحكاية المتلفظ بها إذ يشمل على الفعل والحدث، وذلك لاكتفاء بنية البعد الخيالي والتشويقي لما

تحتاجه.

كما يندرج في الأدب الرحلات مجموعة كبيرة من الكتابات المختلفة، في نواح متعددة من حيث

أسلوب الكاتب، ومنهج الكتابة، والغرض من الكتابة والجمهور الذي يتوجه إليه واهتمامات كل

منها لكن هذه الكتابات كلها يمكن تصنيفها لإطارين أساسيين المضمون والشكل إذ يكون (إطار

أدب الرحلة هو إطار مرن، يساعد على تحديده المضمون، والصلة بينهما بين الشكل

والمضمون ويتحكم في الشكل ويوجهه والشكل المختار يفرض على الرحال نهجا لابد من

التزامه)<sup>(3)</sup> إذ يعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي تناولها العديد من العلماء والنقاد

حيث صارت الكلمة الأولى تستدعي الثانية والعكس صحيح لما لهما من صلة وثيقة.

---

<sup>1</sup> - شعيب حليفي: في الأدب العربي: (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 443.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ص: 452.

<sup>3</sup> - ناصر الرزاق: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ص: 46.

(باعتبارهما صنوين يشاركان في تكوين الصورة النهائية لأدب الرحلة فإنه من الضروري التنبيه إلى أن شخص الرحال - بكل مكوناته ومقوماته - يتحكم فيها، ويخرجها على مثال فريد لم يسبق إليه، باعتباره إنسانا متميزا وفريدا<sup>(1)</sup>. بمعنى أنه لا شك أن كلمتي الشكل والمضمون أساسيين في كل نص أدبي، وخاصة ما يخص أدب الرحلات، وذلك لما تختص في استعمالاتها الفنية. فالواضح أنهما يشكلان البنية النهائية لأدب الرحلة، وعلى الرحال أن يعمل بمقوماته، بحيث يؤدي دورهما في إنتاج العمل الفني، لأن الصلة بينهما وثيقة جدا، فهما وجهان لأمر واحد، وكما ينبغي أن يضع الرحالة عمله الرحلي في قالب متميزة ومكانة مرموقة وفريدة، لأن الرحالة نفسه يعتبر فردا متميزا وفريدا لذا ينبغي أن يتسم أعماله ورحلاته بها.

(النص الرحالي هو دائما مفتوح لمقاربات شتى في مستويات الدلالات وجمالية الشكل)<sup>(2)</sup>.

لهذا فإن الرحلة وثيقة مدونة تصف المجتمعات، لما يجعلها منفتحة على عدة مستويات وذلك من المنظورات مستمدة من دلالات مختلفة، ومستندة على الشكل والجمال.

(كما بدأ انتشار الوعي بأهمية أدب الرحلات في الكشف عن معارف جديدة، من خلال

التظاهرات العلمية التي تقوم بها هذه المؤسسات، وكذلك منشوراتها وجوائزها التي تخصص

للباحثين في أدب الرحلة، مما جعل هذا الفن محط اهتمام الجميع وعشق أغلب القراء)<sup>(3)</sup>. حيث

أشار الباحثون والنقاد أي أصحاب العقول العلمية إلى أدب الرحلات مرجعا مهما، باعتباره عنصر

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص: 46، 47.

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، (التخسيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 9.

<sup>3</sup> - خالد التوازي: الرحلة فتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 17.

أساسي لوصف أساليب حياة أو تقاليد وقيم وعادات وفنون المجتمع، وإضافة إلى ذلك، يعتبر أدب الرحلة مصدرا للمعلومات بمختلف أشكاله، الذي يحكي أحداث عاشها الرحال، وهذا الاهتمام يعود إلى التظاهرات العلمية التي تقوم بها معظم المؤسسات ليصير هذا الفن مصدر اهتمام للقراء من خلال حب الاطلاع عليه، وذلك ضمن معايير علمية والاعتراف بأنها ثروة قومية وعلمية و ادبية.

**(ثراء أدب الرحلة من حيث المضمون والشكل، مما فرض على كل من تعرضوا لهذا النوع**

**بالدراسة أن ينبهوا إلى ذلك)<sup>(1)</sup>. فهذا يحيل إلى أن على الرحالة أن يتميز بخصية الشخصية المستقلة ويتفرد بها وييسر على منوالها إذ تلعب شخصية الرحال دورا كبيرا لما يؤثر في النص الرحالي واتجاهه حيث لا بد أن يكون هنالك علاقة تأثير وتأثر، فالرحال الديني مثلا كابن جبير نجد في كل نصوصه الطابع الديني حاضر مما يتشكل لنا شخصية الرحال وأما الرحال العادي كذلك يعكس لنا صورة عن شخصيته ونظرته من خلال عمله الأدبي.**

**(هكذا شكلت الرحلة قطعة حبة من وجود الإنسان العربي، حيث لا يرتقي ولا كمل من لم**

**يرحل، ولم يكن عند الإنسان العربي أمر اشد على النفي من مفارقة الديار، ومع ذلك فقد نجح في كسر الألفة، وحمل النفس على الرحيل)<sup>(2)</sup>. الرحلة موجودة في أعماق الإنسان، إذ يستدعي وجود الحركة والشغل، وذلك للخروج عن ما كان عليه، ذلك يجعل النفس الإنسانية على فعل الرحلة والشغل.**

---

<sup>1</sup> ناصر عبد الرزاق الموفي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ص: 47.

<sup>2</sup> خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 85.

(فان طبيعة الرحلة المتحررة، ومضامينها المتجددة دوماً، أثرت على شكلها بالسلب، فلم يتفق الرحالون أو النقاد على شكل معين يمكن احتداؤه، ومن هنا فان كل محاولة لدراسة، هذا النوع الأدبي لابد أن تعترف بها. لأن الزعم بغير ذلك ينطوي على عدم فهم حقيقي لهذا النوع)<sup>(1)</sup>. فان أقدم المؤلفات في أدب الرحلة، تمتاز طبيعتها بالتجديد والتعبير، لهذا فان قراءة أدب الرحلة من تطورات، هذا التعبير وعدم اتفاق الرحالة على شكل محدد له، كما ينبغي الاطلاع على هذا الأدب لكي يستوفي الدارس رصيده المعرفي لكل ما يتعلق بهذا الأدب الرحالي، ويكون الفهم له حقيقي.

### 3-1- الخصائص المميزة للمضمون:

يتيح هذا المنظور قراءة المضمون للنص الرحالي بوصفه شكلاً قائماً بذاته، فلا يمكن أن تصف أي عمل أدبي في إطار أدب الرحلة إلا إذا اتسم بالخصائص المميزة للمضمون (فأدب الرحلة وعاء لكل مضمون، وهو لا يفرق بين مضمون حسن وآخر شرف، أو بين مضمون مهم وآخر تافه كل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحال واقتنع به)<sup>(2)</sup>. هذا دليل على مدى

<sup>1</sup> - ناصر عبد الززاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ص: 47.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 48.

العلاقة الموجودة بين أدب الرحلة والمضمون، إذ يصل إلى حد لا يمكن الفصل بينهما كما أنه لا وجود لأدب الرحلة دون حضور المضمون، لهذا خرج العديد من الرحلة في كتاباتهم، التي إجمالها في مضمون حسن لإكمال الصورة العامة للرحلة، إذ يمكن اعتبار كل مشاهدات الرحالة، ومن ثم تكتسب الرحلات مكانة خاصة عالية.

(ويمكن القول بان مضمون الرحلة هو مضمون الحياة، غير أن طوابع مضمونة بعينها يكاد الرحالون يجمعون عليها، قد تستوفي جميعا في عمل واحد، وقد يتناول بعضها دون بعض)<sup>(1)</sup>. فالمضمون إذن في أدب الرحلة جملة من النشاطات التي تكون أساس الرغبة في الحياة، ويتكون من تسعة طوابع هي:

### 3 - 1 - 1 - الطابع الموسوعي المعرفي:

مجمل هذا الباب يتسم بالحرية والقيود في أن واحد فالواقع أن دعم حرية الرأي والفكر ومبدأ أرساه الإسلام منذ ظهوره، لكن هذه الحرية ينبغي أن تكون مقيدة إذ (يعطي للرحال حرية، وهو مقيد في الوقت ذاته، ذلك أنه يحتم عليه الاختيار الدقيق الذي يتضمن دوام التواصل مع القارئ، وهنا يكمن صعوبة الكتابة في أدب الرحلات)<sup>(2)</sup>. فهنا نقول أنه تعطي حرية للرحال إذ يتمتع بها، ولذلك ينبغي في نفس الوقت قد تكون هذه الحرية مكسورة فيها نوع من التقيد، لتكون له

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ص: 48.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص ن.

صيغة دقيقة ومطلقة... لتعرف على مهارات التواصل والاتصال بين الرحال والقارئ والمطلع وينبغي أن تكون عملية التواصل ملائمة بينهما.

**(لهذا فان الحرية الخطابية التي تميزها والهجانة المركبة التي تسمعها وخضوعها لمنطق**

**المسير الواقعي)<sup>(1)</sup>. إذ هي حاملة لقيم تتسم بالحرية الخطابية، إذ يكون هذا التفاعل ذات منطق واقعي، التي تمكن الرحالة الوصول إلى الكثير من المناطق. كما أنه قد لقي أدب الرحلة خط أوفر الفنون الأدبية خطا من الحرية السردية، لأنه يصنف ضمن الأدب الذي يمهد للتثقف مع الشعوب، فحرية الأديب تجعله يكتب ويعبر عن مشاهداته كيفما شاء.**

**(والطابع الموسوعي هو طابع معرفي في الوقت ذاته، غير أن رحالا بعينه قد يتراعى له أن**

**يركز على فروع علمية بعينها، يؤديه إليها تخصصه وخبراته السابقة وحينئذ يجب عليه أن يعي أنه يقدم كتاب رحلة في الأساس يتضمن معلومات في فرع بعينه فحسب)<sup>(2)</sup>. أن النموذج المعرفي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالطابع الموسوعي، إذ هي موسوعة ذات طابع علمي، باعتبارها ذات طابع منطقي وعلمي دقيق، وأنها خواص لتقديم رحلة تحتوي بصدها على مادة علمية فعالة،  
**(والرحلة وثيقة يمكن الركون إليها لأنها :****

**- محددة الزمان والمكان.**

**- واقعية، ذات أهداف ونتائج.**

---

<sup>1</sup>- فريد الزاهي: الممانعة والفتنة الجسدي والذات متخيل الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا، الكوفة، مجلة فصلية محكمة، العدد

2 ربيع 313، السنة 2، ص: 169.

<sup>2</sup>- ناصر عبد الرزاق المواقفي: الرحلة في الأدب العربي، ص: 49.

- معرفة المؤلف<sup>(1)</sup>.

ومن هنا فإن الرحلة وثيقة رسمية يسعى إليها كل من الرجال والقارئ في أن واحد، إذ الرحلة بمعايير محددة متعلقة بها بشكل خاص، فهذا ما يجعلها تستكشف طبيعتها من خلال التحديد الزمني والمكاني لها واعتمادها على الواقعية في نقل الأحداث وتتكون بأهداف ونتائج، وأخيرا تكون معروفة المؤلف.

### 3-1-2- الرحلة ذات طابع فردي ذاتي:

ورد المصطلح الفردي في العديد من الدراسات والبحوث ذات الطابع نفسي بشكل خاص، قد تكون البداية في التعمق الداخلي، وبعدها يليها الخارجي (لأن الكشف الخارجي الحقيقي لا يأتي إلا بعد الكشف الداخلي أن رحالا لن يصل إلى حقيقة يعتد بها إلا إذا عرف حقيقة نفسه أولا<sup>(2)</sup>). يعني أن حقيقة إلا إذا انبثقت من نفسية الفرد، فحضور الكشف الخارجي لا يكون إلا بحضور الكشف الداخلي، فالحقيقة لا تتوفر إلا بعد تعرف الرحالة على حقيقة نفسه، فهذا من أول الأشياء التي يقوم بها وبعدها ينتقل إلى أشياء أخرى.

(الأفراد عن الناس سيما في المغازات والمغارات البعيدة من العمران لايقه عليه، إلا من أيد بروح القدس وكانت له كلمة عالية، وسقطت من قلبه مخافة غير الله<sup>(3)</sup>). فالرحال يبقى مع

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص: 49.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص: 49. ص: 51، 50.

<sup>3</sup> - خالد التوزاني: في فتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 133.



نفسه أحيانا ويعيش بعيدا عن الناس وأفراد المجتمع، حينما يجد نفسه في المسالك البعيدة العالية أو أجواف الأراضي المختلفة، فيعبر عن عزلته عن ذاته وفي انخلاعه عن الآخر.

(ولم ينتبه الدارسون للأدب العربي إلا عرضا إلى خاصية أساس في النوع الرحالي تتعلق بالاندماج الذات في صياغة المرئي)<sup>(1)</sup>. فقد خضعت الذات إلى صياغة المرئي، حيث تنطلق منه أدب الرحلة، واستنادها على خطاباتها المعتمد على الذات.

(وبما أن المتعة الأدبية تكون مزدوجة، إذ هي تتصل بالذات الحاكية وممكناتها التعبيرية وبالذات المتلقية، فأنها تنبني دلاليا وجماليا على مجموعة من العناصر المشتركة المتواترة والواردة في اغلب هذه الرحلات)<sup>(2)</sup>. نجد المتعة الأدبية في التعرف على الذات الحاكية والمتلقية، وأن علاقة الأدب بالذات شمل عدة دلالات التي تذكر في اغلب الرحلات.

(وإذا كانت الرحلة أو تجربة السفر تعمق ثقافة الفرد وتصغر خبرته في الحياة، حيث تصبح الذات أكثر انفتاحا على من حولها، وأكثر إدراكا للاختلاف والتباين بين المواقف والأحداث والشخصيات)<sup>(3)</sup>. بمعنى أن الرحلة موجودة في الثقافة العرب منذ أقدم العصور، وعاشوا تجربة السفر، وكانت تصاحب الإنسان في كل زمن عاشه من حياته، وهذا التنقل والاحتكاك بالآخر تجعل الذات منفتحة على العالم وتأخذ من ثقافتهم، لما يجعل الرحالة يفرز بين كل اختلاف موجود في بلاد الآخر وبلاده في مختلف الجوانب.

<sup>1</sup> - فريد الزاهي: الممانعة والفتنة الجسد والذات والصورة متخيل المرحلة السفرية المغربية، ص 169.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 170.

<sup>3</sup> - خالد التورني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص 49.

(واضحى الرحالة ذلك الشخص الكشاف، المغامر الذي يتميز رحلته بالفردية والأصالة)<sup>(1)</sup>.

أي رحلته إلى الأصالة والفردية، إذ يعود أصلها الطبيعي والأخلاقي إلى قدرة الشخص على السيادة الفردية.

(وأن حرية الاختيار والتوجه، والاعتماد على الذات في توفير الرحلة، والسعي لمواجهة

الصعاب والتخلص من المأزق، والتجريب والاستقصاء. كل ذلك يساعد على اكتشاف الذات)<sup>(2)</sup>.

فهذا التعبير تدل على فرصة الفرد على استقلاله الذاتي في تنفيذ أي إجراء يختاره، فهذا يساعد على اكتشاف الأفكار والحلول لكل المسائل والتعرف على الذات معرفة كاملة.

(وحيث تظهر الذات من خلال الجهاز المعرفي للرحالة، وطريقة فهمه وصياغته

ومصادراته)<sup>(3)</sup>. بمعنى أن معرفة الذات ضرورية عند الرحال ويعني أن تكون طريقة فهمه معرفة

كاملة تستوفي كل جوانبها.

(ومن ثم فإن الرحلة عموماً هي من أولى الأشكال التعبيرية التي استعملت فيها الكتابة

بضمير الأنا دون تخرج)<sup>(4)</sup>. بمعنى أنه تصف الرحلة ضمن الأشكال التعبيرية التي تعتمد على

ضمير الأنا بكل انفتاح ودون أي تحفظ.

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، ص: 34.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب الغربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ص: 50.

<sup>3</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، (التجنيس، آلية الكتابة خطاب المتخيل)، ص: 432.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 6.

(وإن بعد الذات في النص الرحلي، يتمثل بصفته كينونة متحاورة لتشخيص الغياب

(الماضي)، داخل نسق سردي، هو سيرورة تواصلية بين ذات الرحالة وذات الراوي)<sup>(1)</sup>.

### 3-1-3- الطابع الكشفي:

تتطلق الرحلة من غاية الكشف التي أرسلت لجمع المعلومات إذ يستخدم بجمع الوسائل

المختلفة إذ (يأتي باستغلال الرحال لبصره وبمصيرته، وصولاً إلى الحكمة التي تؤهله لأن يطلق

عليه لقب الخبير أو المجرب)<sup>(2)</sup>. إذ أن الرحالة يقوم باستخدام كل ماله من عتاد مختلف متعلق

ببصره ليصل إلى حكمة تجعله نسب الرحالة الأوائل وتتصف بكل صفات التي ينبغي أن يتصف

بها.

فالرحلة ( تهدف إلى استكشاف الواقع العياني بعاداته وتقاليده، فإن الرحلة المتخيلية تسعى

بدورها إلى استكشاف وضعية الروح والباطن الإنساني عبر تأملات عميقة)<sup>(3)</sup>. إذ الرحلة تكون

غايتها الكشف عن كل الأحداث وما صادفه من عادات وتقاليد الشعوب في العالم بأكمله، إذ

ينبغي للكشف عن الباطن الإنشائي، ذلك بالقدرة على الكشف عن المعرفة الإنسانية.

(فإن استنفار حواس الرحال جميعاً لابد أن يكون في حالته القصوى طوطنة للكشف الذي

يأتي بعد طول رؤية وتأمل، أو فجأة ويكون هذا الكشف داخلياً أو خارجياً تجليه لما صدا، أو

---

<sup>1</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، (التجنيس، آلية الكتابة خطاب المتخيل)، ص: 281.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 51.

<sup>3</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية، الكتابة، خطاب، المتخيل)، ص: 149.

كشفا عن جديد<sup>(1)</sup>. إذ ينبغي أن يكون توجيه كل من الرحالة في رحلاته للكشف، وذلك بعد أن يستخدم التأمل وهذا ما يجعله يأخذ وقتا طويلا .

تلك الرحلة، ومن هنا يبدأ الاكتشاف والتعبير، اكتشاف المكان واكتشاف الذات سعيا وراء فهم حقيقي لها هكذا تنبثق الرؤى من معايشة المدن والأنهار والجبال<sup>(2)</sup>. الرحلة مرتبطة بفعل الاكتشاف، ومعرفة المكان وإدراك الذات، لتستوفي لكل فهم حقيقي .

شك أن لبعض الرحلات خصوصيات خاصة عندما يجتمع فيها دافع رغبة الاكتشاف مع دوافع أخرى وحوافز أكثر قوة وتأثيرا تجعل من الرحلة عملا مقدسا<sup>(3)</sup>. إذ لا يمكن لأي إنسان أن يعيش بدون هدف فلكل مناله أهدافه، حتى وأن كانت محققة أو لم تحقق فهي مرتبطة بالأفراد ولكن الهدف هو جزء من حياة الإنسان ومنعرج يحدد فيه نمط وأسلوب حياته مما يشكل له غايات كثيرة.

أن تقدم وسيلة الانتقال في نظر هذا الباحث فيها، أو مدنيته التي عاشها فيها طوال عمره، كما ساعد هذا التقدم أيضا على تشجيعه على السفر والقيام بالرحلة لاكتشاف الذات والآخر<sup>(4)</sup>. بمعنى أن عملية الاكتشاف عند الرحالة عند تنقلهم، تساعدهم على الكشف عن الآخر والذات في أن واحد، كما يساعد هذا التنقل والحركة على التطلع لمدينته أولا، كما يساعد على

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 51.

<sup>2</sup> - خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 6.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 81.

<sup>4</sup> - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، ص: 34.

سرعة نشر وتداول الأخبار، وتحقق عملية الاتصال والتواصل، مما يساعد على نشر الوعي والمعرفة بتاريخ الشخصيات.

(الكشف الذي يتفق فيه هو ذلك الكشف الناتج من التأمل، والتأمل يتم أثناء الرحلة خاصة في حالات التوقف الجبري أو بعد إنتهائها، لحظات الاسترجاع والاستعراض العام لوقائعها)<sup>(1)</sup>. بمعنى أن الرحلة فيما يخص الطابع الكشفي متعلقة بالتأمل الذي ينفي أن يكون في كل عمل أدبي رحالي كشفي وذلك لما له من أهمية كبيرة.

(فظلوا يعثرون الرحلات السفارية، ومعها العديد من أصناف الرحلة، صرنا من ضروب الاكتشاف الجغرافي الفضائي والاجتماعي لآخر وللبلدان التي تتعلق بها الرحلة المخصصة، واعتبروها من ثم أدبا قاصرا)<sup>(2)</sup>. من هنا يعني يمكن تصنيف أصناف مختلفة مع الرحلة لتكون صنف غايته الاكتشاف سواء كان اكتشاف جغرافي أو فضائي أو اجتماعي، وهي عبارة عن رحلات التي قام بها الرحال لاكتشاف هذه الجوانب ذلك وصولا إلى بلدان متعددة تجعله يحصل إلى المعرفة الاجتماعية لهذه البلدان، فهذا ساعد في اكتشاف عدة نقاط.

(وأن صح هذا التعبير، وذلك ابان تلك الحقبة الزمنية التي لم يكن السفر البعيد عبر البراري والبحار سهلا، ولا مسيرا إلا لمن استهوتهم الرغبة في الاكتشاف، ومن دفعتهم المغامرة وحب الجديد والتغير إلى التجوال في البقاع، ومخالطة الناس والأقوام)<sup>(3)</sup>. يعني أن السفر ليس

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 51- 52.

<sup>2</sup> - فريد الزاهي، الممانعة والفنية الجسد والذات والصورة مخيل الرحلة السفارية الزاهي العربية، ص 129.

<sup>3</sup> - حسن محمد فهيم: أدب الرحلات، ص: 25.

سهلا كما يعتقد البعض، لكن يكون الأصل في الرحلة الرغبة في الاكتشاف، إذ الدافع هو اكتشاف المجهول وبحثا عن الجديد، أو لغرض العبادة وذلك لما يحققه السفر من علاقات اجتماعية، رغبة في المغامرة وحب الاستطلاع وهذا يكون عن طريق عملية الاحتكاك بين الشعوب.

(ولا شك في أن الرحلة السفارية تشكل تجربة وجودية خصوصية لاسيما إذا كانت الرحلة الاستكشافية الأولى لصاحبها)<sup>(1)</sup>. بمعنى أن الرحلة الأولى للرحال ينبغي أن يكون منطلقها تكون الاستكشافية.

(يقوم الأدب الرحلي على الرغبة في اكتشاف الآخر، وعلى رصد مظاهر الغيرية لديه، وهذه عملية لا تأتي بدون التعرف على هذا الآخر)<sup>(2)</sup>. فالرحلة تعود لرغبات تتمثل في اكتشاف أحوال الأمم والتعرف إلى الآخر المختلف، ويصور ملامحه ويرسم أحوال البشر وبدون مشاهداته ويتركها للسلف.

(وما يميز كشف الرحال عن كشف الفنان، أن الأول نتاج حركة عملية وذهنية، أما الثاني فتاح حركة ذهنية وحسب في الغالب، ونسبة الخطأ عند الثاني أكبر منها عند الأول، وأن كشف الرحال يقدم في صورة مباشرة تدرك بسهولة، أما كشف الثاني \_الفنان\_ فيقدم في صورة محور، تحتاج إلى إعادة كشف)<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup> - فريد الزاهي: الممانعة والفتنة الجسد الذات والصورة متخيل الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا، ص: 120.

<sup>2</sup> - مصطفى نشاط: محمد إستيو، كنايش الديمغرافيا التاريخية في أدب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وحدة، العدد 3،

صيف، خريف، 2001، ص: 5.

<sup>3</sup> - ناصر عبد الرزاق المرافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 52.

وأخيرا نؤول إلى أن الرحلة ما هي إلا اكتشاف للعالم الأخر في مختلف أنحاء العالم نفسه ف  
(الرحلات اكتشاف للعالم والإنسان)<sup>(1)</sup>. بمعنى أن الرحلات مرتبطة بكل ما هو متعلق بالعالم  
والإنسان.

### 3-1-4- الطابع الإنساني:

إذ يمكن اعتباره انه وصف لثقافات الإنسانية، أوصف للإنسان بحد ذاته، فهذه المعارف  
الإنسانية المتنوعة مرتبطة بالأفراد، إذ يقوم الرحالة بوصفهم حيث أن (الرحال إنسان، يصف  
الإنسان وما يتعلق به، ويوجه وصفه إلى إنسان. وبين هذه المحاور الثلاثة يبدو الطابع  
الإنساني للرحلة جليا)<sup>(2)</sup>. أن وصف الرحال للإنسان يعتبر وصف تفرضها الحياة باعتبار الرحال  
نفسه إنسان، فقد اهتموا بعلم الإنسان حيث كان هذا واضحا في جل رحلاتهم.

(عرفت البشرية الرحلة باعتبارها فعلا إنسانيا في كل المراحل وبأشكال مختلفة، حاملة  
لتجارب وخبرات اختلط فيها اليومي بالمتخيل بتلونات وإشارات دالة)<sup>(3)</sup>. إذ تعود معرفة الإنسان  
للرحلة كونه بطبيعته هو إنسان لكل المراحل.

---

<sup>1</sup> - حسين محمد فهم: أدب الرحلات، ص: 36.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب الغربي، (في نهاية القرن -الرابع الهجري)، ص: 52.

<sup>3</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي 'التجنيس، آلية، الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 5.

(التنوع في شخصيته الرحالة الإنسان، عارفاً أو جاهلاً، فكلاهما يبحث للكشف والوصول

لليقين)<sup>(1)</sup>. ففي جميع الأحوال، يظل أدب الرحلات معبراً عن التنوع الثقافي من البشر، مهما كان

شخصية الرحالة التي تعبر شخصيته إنسانية، فهذا غايته تكون دافعاً لوصول الحقيقة المطلقة.

كما تشير إلى أنه قد (ارتبطت الرحلة بالوجود الإنساني، وشكلت في زمن ما معيشاً يومياً

يحدد للإنسان تفاصيل عيشه وبرنامج حياته، فمثلت بذلك قطعة من وجوده، وجزء من ذاته

وكيانه، لا يستغنى عنها)<sup>(2)</sup>. فالرحلة إذا ظاهرة قديمة ارتبطت بوجود الإنسان وتحركاته، إذ هي

مسيرة إنسانية تحدد كل ما يعيشه يومياً، وقد ارتبط الإنسان بالرحلة كصورة أدبية عبر التاريخ

ارتباطاً وثيقاً.

(اقتناع الرحال بأنه فرد في مجموع وجزء فمن كل، سيؤدي به إلى الالتفات إلى هذا

المجموع محاولاً الكشف عنه في حال كونه كلاً هذا الالتفات للمجموع يؤكد على الطابع

الإنساني للرحلة فالرحال يصف الإنسان هدفه الأول من حيث الصفات العامة والخاصة، ومن

حيث الاتفاق والاختلاف بين شتى أجناسه)<sup>(3)</sup>. حيث أبدع الرحالون في وصف الإنسان أحسن

الصفات، فهذا ما زاده على أن يكون مقتنعاً بمدى كونه فرد في الجماعة، ويعتبر جزء من

الجماعة بأكملها كما يرى نفسه اللبنة الأساسية للمجتمع الذي يعيشه.

---

<sup>1</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب الغربي (التجنيس، آلية، الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 149.

<sup>2</sup> - خالد التوازني: الرحلة وفتنه العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 66.

<sup>3</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 52.



### 3-1-4- الطابع الشعبي:

ومن هنا فان الطابع الشعبي (يترتب على كون الرحلة تصف شعوبا أنها ذات الطابع الشعبي، وهذا الطابع مزدوج، بمعنى انه يصف شعوبا، وهو موجه إليها ومراع لها)<sup>(1)</sup>. نرى أن الرحالة قد طافوا في أرجاء العالم ووصفوا شعوبا مختلفة وذكروا حال الشعوب وتقاليدهم وعقائدهم كما يتم هذا الطابع بالازدواجية في وصفه للشعوب، وذلك بوصفه لمشاعرهم و أحوالهم.

فقد كان الرحالة لهم احتكاك مع مختلف الشعوب (فالاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم)<sup>(2)</sup>. وينبغي على الرحالة الاختلاط ويجعل من العالم كوكبا صغير، وذلك عن طريق نقله لكل مشاهداته، لان الاختلاط يعتبر ظاهرة اجتماعية ايجابية، فاختلاط الرحالة بالشعوب الأخرى، يؤدي إلى الامتزاج الثقافي فهذا يكون عن طريق الدراسة العميقة عن أخلاقهم وطباعهم.

(الرحلة تفصح بمن ترامي أطرافه، وامتداد بقاعه، وتنزع شعوبه، وتباين تقاليد الأقاليم وعاداتهم)<sup>(3)</sup>. إذ يمكن اعتبار أن لرحلة عدة أطراف، كما أن الأماكن التي يقوم الرحالة بالانتقال إليها متعددة ومختلفة، لكل بقاع شعوب يختلف كل شعب عن غيره، وهذا الاختلاف سيؤدي حتما إلى تنوع في تقاليد وعادات هذه الشعوب.

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 53.

<sup>2</sup> - حسين محمد فهيم: أدب الرحلة، ص: 17.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص: 23.

(ولقد تم التأكيد على ضرورة أن يضع الكاتب في اعتبار أن عمله موجه إلى جمهور أو شعب، ومن ثم فعليه مراعاة اعتقاد هذا الجمهور ورحلة تتجاهل الجمهور، هي رحلة لم يستفد منها صاحبها شيئاً أن العجائب والخرافات والأساطير شحنت بها كتب الرحلات هي استجابة لمطالب شعبية ترغب في معرفة كل شيء عن غيرها)<sup>(1)</sup>. ومن هنا يمكن القول أنهم وجدوا كنزاً تاريخياً دقيقاً في وصف حياة الشعوب في مناطق متعددة، يتعرف فيه إلى عادات وتقاليد وأفكار لجماعات من الشعوب التي انتقل إليها الرحال ويظل أدب الرحلات معبراً عن التنوع الثقافي بين البشر وإذا استدعي أن تكون تتماشى مع معتقداتهم وتفكيرهم، فهذا يساعد على فهم مسار الحضارة الإنسانية، فالرحلة التي تأخذ الجمهور الاعتبار يمكن اعتبارها أنها رحلة لم يستفد منها صاحبها، لذا فإن التعامل مع أدب الرحلات يجب أن يكون من المنظور الشعبي ليكشف عن الكثير من الرؤى.

(لهذا لعبت كتابات الرحالة دورها الكبير في تقديم صورة الغير لضرائها وترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة والتصورات الشعوب الأخرى، صادقة كانت أم خاطئة)<sup>(2)</sup>. والخلاصة تقديم الرحالة هنا صوراً عن الآخر، تزاوجت في عدة انطباعات مختلفة، وبذلك فحين يشكل الرحالة صور الآخرين مهما كانت صادقة أو خاطئة، لان اكتشاف الآخر يسمح بمعرفة الذات.

(الأمر الذي قد يجعل من أدب رحلات الخيال، مصدراً مفيداً أيضاً للمعرفة بطبائع البلدان وقيم الشعوب وتقاليدها، علاوة على ما قد تطرحه من قضايا إنسانية تتعلق بالفكر السائد

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 53.

<sup>2</sup> - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، ص: 8.

والشاغل للناس صفوتهم وعامتهم، في كل زمان ومكان<sup>(1)</sup>. فينطلق الرحالة من أدب الرحلات الخيال ليتعرف ويتطلع على عادات وتقاليد شعوبها.

### 3-1-5- الطابع الجمالي :

الجمال من أهم الاتجاهات التي ينطلق منها أدب الرحلة كما أن هذه الخاصية هي السر في الرحلة برأي الدارسين والباحثين، لأنه يشير إلى أي نوع من أنواع الممارسة الإبداعية أو أي شكل من أشكالها التعبيرية ذات الطابع الجمالي بحيث (يشكل الجانب الجمالي جوهر العمل الأدبي)<sup>(2)</sup>. لان كل الأعمال الأدبية تتميز وتكتسب قيمتها الأدبية من خلال التمكن والتحكم في الجانب الجمالي وهذا ما يشكل محور الدراسات في كل أدب ويثني أي عمل أدبي.

ومن هنا فان (الجمال الذي يخرج من اجله الرحال موضوعه متعة لا غاية لها، ولا علاقة لها، بالمنفعة الحسية كما هو الشأن في اللذيق ولا بالمصلحة الخلقية كما هو الشأن في الخير، وتلك المتعة أساس حكم ذاتي ابتداء، ولكنه عالمي نتجه... كما أن هذه العالمية في الحكم الجمالي لا تستند إلى قاعدة)<sup>(3)</sup>. ومن يمكن نعتبر أن الرحلة أصبحت متعة عقلية يتغذى بها الرحال في كل رحلة قام بها ولقد كانت تعابير الرحالة في مدوناتهم لغاية المتعة لا لمنفعة من المنافع التي يسعى الأفراد لأجلها وتتطلق هذه المتعة لا لمنفعة من المنافع التي يسعى الأفراد

1 - - حسين محمد فهميم: أدب الرحلات، ص 151.

2- خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 139.

3 -ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، ص: 54.

لأجلها، وتتطلق هذه المتعة من مبدأ ذاتي فردي فالجمال الغرض الوحيد الذي يدفع الرحالة إلى التنقل والحركة.

(في حين ينفي الجانب الفني والجمالي مضيئاً، لا تغيب شمسهُ، وينطفئ وهجهُ ولذلك وجدت النصوص الأدبية)<sup>(1)</sup>. وقد تغيب بعض اللمسات في العمل الأدب لكن الجانب الفني والجمالي.

### 3-2- الخصائص المميزة للشكل:

عرفت الرحلة باعتبارها فعلاً إنسانياً تطوراً وتوسعاً منذ العصر الجاهلي إلى المعاصر، وهي بكل اتجاهاتها وميادينها المختلفة سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة الجغرافية، والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وتكمن قيمتها من ناحية الشكل باعتبارها أكثر تجارب الرحال لأنها متعلقة بذاته، وفي الوقت ذاته أدواته الوحيدة للمعرفة والاكتشاف، فالشكل في أدب الرحلة وحدة أساسية والركيزة لهذا العمل الأدنى. وهو قوام كل عمل فني جميل الذي من خلاله أمكننا من أن نتعرف على تلك الأحاسيس التي يعيشها الرحالة أثناء رحلاتهم (يمكن القول بان الرحلة أشكالاً بعدد نصوصها)<sup>(2)</sup>.

فوجدوا كنزاً تاريخياً دقيقاً في وصف حياة الشعوب يتعرف فيها إلى عاداتهم وتقاليدهم ، ويظل أدب الرحلات معبراً عن التنوع الثقافي بين البشر إذ ينبغي أن تكون أعمال الرحالة موجهة إليهم

<sup>1</sup> - خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 139.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 59.

ذلك استدعي أن تتماشى مع معتقداتهم وتفكيرهم، فهذا سياحة على فهم مسار الحضارة الإنسانية، فالرحلة التي لا جمهور بعين الاعتبار لا يمكن اعتبارها لرحلة، لذا فان التعامل مع أدب الرحلات يكون من المنظور الشعبي ليكشف على الكثير من الرؤي.

فالشكل يعتبر صورة خارجية لكل عمل أدبي، لما له من قوة كبيرة في تحديد طبيعة العمل الفني. فآدب الرحلة يفسح المجال الرحالة لكل عبقرى في مادة الشكل، وان يقول ويبدع فيها، لذا فان (عبقرية الرحال الذي يحاول أن يخترع أشكالاً جديدة حتى يصل به الأمر لكل عمل يخرج، مع التركيز دوماً على ضرورة التناسق بين الشكل الجديد والهدف من العمل)<sup>(1)</sup>. فعبقرية الرحال تقاس بمدى ابتكار أشكال جديدة، وذلك الحاجة إلى الاختراع في كل كتابه له، ليكون لهذا العمل تحاليل وطرق جديد برؤية متطورة ويكون بالتناسق بين هذه الأشكال المختلفة.

فالقيمة الأدبية للرحلة تمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة، لما له من أهمية من الناحية الأدبية وما يحتويه على معلومات قيمة ونادرة، تخدم الأنواع المختلفة من الأدب على مر الزمان، كما أنها تصل إلى مستوى الخيال الفني كبير، باعتبارها فضاء لمجتمع المعارف وخاصة المعارف الجمالية فيعتمد الشكل على ثلاثة خصائص أساسية (إذ تتحكم في شكل الرحلة طريقة التدوين التي تؤدي بدورها إلى تكوين بنية، وطريقة التدوين والبنية يحكمها الأسلوب أو اللغة. ودرس هذه العناصر الثلاثة مرتبة قد يؤدي إلى الكشف الخصائص المميزة لأدب الرحلة من حيث

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 59.

شكله<sup>(1)</sup>). وهنا بين ثلاثة خصائص مرتبط بالشكل تتمثل في التدوين والبنية واللغة إذ تقوم عليهم هذه الخصائص.

### 3 - 2 - 1 - طريقة التدوين:

عرفت الرحلات كأدب تدون من اجله الدواوين والأسفار، فكان الرحالة يدون رحلته ويسجلها لتكون قصة باقية عبر العصور، وهذا التدوين قد يكون سببه لطلب الحاكم من الرحالة تدوين رحلته، أو لأصدقاء، أو يكون رغبة من الرحالة أنفسهم، وذلك في إفادة القراء وتنقيفهم بالجديد. (إن الرحلة دعوة للتفتح الذهني، الذي به يدرك العالم وانه ما هو إلا مجموعة أفراد، وان خبرة هؤلاء كأفراد هي التي تضع خبرتهم الجمعية، فتصبح العلاقة بين الإنسان والإنسان أكثر نصحا وسواء)<sup>(2)</sup>. تساهم الرحلة في إيصال الأفكار وترسيخها في أذهان القراء، إذ تفتح آفاق الأذهان بالأفكار الإبداعية وعن كل ما يحدث في العالم، فهذا بفسح المجال للتعارف والاحتكاك بين الشعوب.

كما ولد أدب الرحلات عبر تدوين الرحالة لقصصهم ومشاهداتهم للبلدان التي زاروها والغرائب التي شاهدها، لان التدوين صورة من صورة التحدث والتخاطب، والتسجيل الذي يقوم به الرحالة تنتج هذه الصورة و (من هنا كان التدوين عملا حضاريا منتشرا، يتم عن فطنة أويتهما الرجال، فطنة عملية، وفطنة نظرية. ولعله ليس من قبيل المصادقة أن الرحلة المدونة لا تعرف الازدهار

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق المواقفي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 59.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص: 60.

والأ في ظل الازدهار الحضاري لأمة من الأمم<sup>(1)</sup>. ويعرف أن للكتابة كقيمة حضارية لم تكن منتشرة عند العرب، وفي مرحلة لاحقة كان هناك تضيف وعمل جبار قام به معظم الرحالة: (وقد اتخذ عنصر ال غفغ رحلة وضيعته داخل بنية الكتابة السردية العربية القديمة. إبتداءا من التدوين)<sup>(2)</sup>. بمعنى أن الرحلة تتطلق من التدوين أي أن كل كتابة سردية تعتمد على التدوين الذي هو عبارة عن نموذج لتسجيل المدونات.

(وتتمثل أهمية في أنها تتميز بين كتاب في أدب الرحلات، وآخر في نوع أدبي أو فرع علمي يعتمد على محصلات الرحلة، لذلك... فمن الضروري أن يكون الهدف من التدوين واضحا في ذهن الرحال، لان تحدد الهدف تبني عليه خطوات كثيرة تتعلق باستخدام الأدوات الفنية)<sup>(3)</sup>. ومن هنا فان التدوين منبر من المنابر المنتشرة بين العرب وقد اندرج تحت اسمه أهمية تتمثل في معرفة كتابات أدب الرحلات، وعبر عن الأجناس الأخرى بمعنى أن يكون الرحال داريا بهذا الهدف ويكون في عقله.

(الرحالة وأهمية الآثار التي خلقوها، والمناهج التي اتبعتها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا المجال)<sup>(4)</sup>. لقد جعل الرحالة للرحلة آثار على

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ص: 60.

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنس، آلية الكتابة، خطاب، المتخيل)، ص: 97.

<sup>3</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 60.

<sup>4</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 75.

مختلف الحضارات يمارسونها وكل ما يخص هذا النوع من الأدب، لينتقل بعدها إلى عملية التدوين التي تعتبر عملية مهمة.

(المادة المتوفرة في متناول الرحال هي التي تحدد نهجه، فمن الرحالي من يدون ما يصادفه أثناء الرحلة بشكل منتظم، ومنهم من يدون بصورة منقطعة، ومنهم من يعتمد على ذاكرته بعد عودته)<sup>(1)</sup>. فالرحال نوعان منهم من يسجل رحلته يوميا، ومنهم جزئية. جزئي، وغيرهم تكون مخزنة في ذاكرته إلى حين رغبته على فعل الكتابة ويجمع كل المقاطع و المشاهدات التي مرت عليه.

### 3 - 2 - 2 - البنية:

الرحلة نص من حيث كونه ينتسب إلى الأدب، فمن أهم محددات الأدبية المتن الرحلى هيمنة بنية السفر، لان السفر يتوفر في كل النصوص إذ يجعل مضمون الرحالي حاملا لخصائصها للتوعية ف (الغرض من دراسة البنية بيان مدى التوافق بين أجزاء النص فيما بينها، ، وبيان مدى الانسجام بين النص وهدفه، وبذلك يكون التوافق على ضربين:

ا\_توافق داخلي.

ب\_توافق خارجي.

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 60.



والذي لا شك فيه أن النص الذي يتمتع بقدر أكبر من التوافق، أفضل من نظرة الفن، فبعض المقادير جمال الفن في نظامه، وحسن تنسيقه<sup>(1)</sup>. بمعنى أن البنية في أي عمل أدنى ينتج الاتساق والانسجام بين أجزاء النص الأدبي والبنية ستهم في الربط بين أجزاء النص. وذلك انطلاقاً من توافقين داخلي وخارجي.

(إن الرحلة في الأدب العربي زاوجت بين بنية صغرى وأخرى كبرى تجلّيا في المرور من العنصر إلى البنية ثم التلاحق الذي كان حاضرا باستمرار في التراث السردي العربي بشكل عام، وبين العنصر والبنية بشكل خاص)<sup>(2)</sup>. فحضور البنية الصغرى و الكبرى في الرحلة من العناصر الأساسية إذ يكون مستمرا في التراث السردى العربي وهذا بصفة عامة وكلاهما بصفة خاصة.

(والرحال المميز الذي يجيد وصف رحلته، وسوف تحقق لبنيتها كافة العناصر الفنية التي تكفل تماسكها، طالما وازن بدقة بين احد أن الرحلة وبشخصه فوحدة الحدث وتدرجه ومنطقيته مرتبطة بشخص الرحال وواقعيته الرحلة)<sup>(3)</sup>. حيث عندما تلامس العقول المواضع التي يكتسبها الرحال فهذا الكاتب متميز لما ترقى موضوعاته لتنفرد لصفة غير مألوفة، ونعتبر رحال متمكن، وهذا يكون عن طريق معايير معينة يلتزم بها، فكل رحال له مزاجه النفسي وثقافته المميزة. (والرحال أن يستخدم كافة الوسائل الفنية التي تكفل التواصل بين الأثر وللمتلقي، والأمر متروك

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموفى، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 68.

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 108.

<sup>3</sup> - ناصر عبد الرزاق الموفى: الرحلة في الأدب العربي، (في نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 68.

لفطنة، فله أن يقدم أو يؤخر أحداثاً أو يجزئ حدثاً، أو يقدم بعض لا كل<sup>(1)</sup>. فعلى الرجال اخذ كل الوسائل الفنية يعين الاعتبار في أعمال الأدبية، لأنها تخلق فعل التواصل بين الرجال والقارئ.

### 3 - 2 - 3 - اللغة:

تعد اللغة في أدب الرحلات من أكثر لغات ثراء وتتميز باتساع معجمها اللغوي، وذلك بوجود العديد من الأعمال الأدبية المتعددة واللغة، واللغة عبارة عن نسق من الإشارات والرموز، وتشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة حيث أن (البناء المنطقي خير وسيلة لتحقيق الهدف وهذا البناء يبدأ من الوحدات الصغرى المتمثلة في الكلمة أو للعبارة والفقرة، وينتهي إلى الروح والعام المرفوق على العمل كله، يشمله ويربط بين أجزائه، ويسد ثغراته)<sup>(2)</sup>. ومن هنا فان منطلق البناء يتطلب غرض تحقيق هدف معين ، إذ تكون بداياته الأولى من الوحدات الصغرى، وتكون وحدة حقيقية قائمة على العبارة والكلمة والفقرة لتحقيق قراءة في وحدات فكرية عالية، لتصل بعدها إلى وحدات كبرى يكون فيها الترابط والانسجام بين أجزاء هذا البناء.

(استطاعت اللغة أن تعيد تدوين المشاهد المرئية بالتخيلات في إطار الرحلة)<sup>(3)</sup>. فاللغة

باعتبارها ظاهرة بشرية ووسيلة اتصال وتبادل المشاعر والأفكار، ومجموعة رموز صوتية منطوقة

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 69.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 75.

<sup>3</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، آلية الكتابة، خطاب المتخيل، ص: 86.

ومسموعة ساهمت في نقل المشاهد المرئية والمتخيلة بكل دقة، فاللغة في الرحلة وسيلة نقل لمشاهدات الرحالة.

(إذا اللغة مرآة للثقافة يعكس خصائصها الأساسية، كما أن اللغة نفسها هي التي تشكل الثقافة وتحدد معالمها)<sup>(1)</sup>. فللغة دور في الثقافة باعتبارها مرآة الأمة في ثقافتها، فهي تسعى لبناء المجتمعات. وتحدد مقوماتها. كما تنعكس الثقافة على لغة هذا الشعب، فاللغة في أي مجتمع صورة مطابقة لثقافته.

(والحيوية من صفات الجملة التي يستخدمها الرحال بحيث ستشعر القارئ بالحركة المتتالية خلالها، ولذلك يلاحظ أن الأفعال الدالة على الحركة لا تكاد تخلو منها جملة.. وهذا يعود إلى طبيعة الرحلة المعتمد على الحركة)<sup>(2)</sup>. ينبغي أن تكون صفات الجملة التي يستعملها الرحال تتكيف مع الحيوية، والغاية بها للوصول إلى الصفات الأساسية التي يتميز بها وذلك باستخدام أفعال تدل على الحركة الديمومة والاستمرارية لا الاستقرار والثبات.

ومن هنا (لا يستخدم الناس اللغة لمجرد الإشارة إلى حالات شعورية أو ادعاءات أرضية، بل لتشكيل عقول بعضهم بعضا فاللغة أداة التفكير والتأمل ومن ثم فهي تتأثر لمحيطها القريب والبعيد وتعيش في تواصل مع الموجودات)<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup> - خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص: 32 - 33.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب الغربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 76.

<sup>3</sup> - خالد التوازني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابية والتلقي، ص: 31.

أي أن الناس لا يستخدم اللغة لمجرد أنها نسق من الإشارات والرموز، بل كونها تخلق التواصل بين الشعوب.

فيمكن تضيف. (الرحالة على صنفين من حيث الأسلوب

1 - صنف حرفته الفن أو الأدب خاصة، أو له صلة به.

2 - صنف لا يمت الأدب بصلة ولكن الرحلة تحفزه على الكتابة)<sup>(1)</sup>.

كتب أدب الرحلات من فنون الأدب العربي، كما يعد من أكثر أنواع الأدب العالمي ثراءً، وذلك باقترانه بالعديد من الأجناس الأدبية المختلفة، إذ يشمل الشعر أو الحكايات، والأساطير، تكون ذات فائدة في أعمالهم، حيث تجعل هذا الفن الأدبي ينتمي إلى الأدبية الأخرى لاحتوائه على مجموعة من الخصائص الفنية. إذ (يحاول بعضهم استخدام ذخيرته الأدبية أو الفنية أو الثقافة بعامة في تزيين رحلته، كان يزودها ببعض محفوظه من الشعر، أو ببعض الحكايات، والأساطير التي يقتضها منطق التداعي، أو يزودها بنقول عن سابقه مفيدة في موضوعها، أو يضمنها آيات قرآنية وبعض الأحاديث النبوية... الخ)<sup>(2)</sup>. إذ هنا نستخلص إلى إن الأدب الرحالي فيه بعض من الشعر والأساطير والحكايات، كما فيها الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية.

ولعل ابرز نموذج ملموس للحوار بين الثقافات هو أدب الرحلة، ذلك أن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى مكان آخر فهذا الانتقال يقتضي الحوار والاختلاط. لما له من قيمة معتبرة وعنصر أساسيا من العناصر الأساسية في الرحلات، إذ يعتبر (عنصر الحوار من أهم العناصر

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 77.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (نهاية القرن الرابع الهجري)، ص: 76.

التي يجب أن يزود بها الرحال عمله ذلك انه يتيح الفرصة للشخصيات لتظهر ظهور حرا، فتعبر عن نفسها بنفسها. كما يؤكد على السمو الأدبية لكتب الرحلات<sup>(1)</sup>. فهنا ينبغي أن يشبع في أدب الرحلة الحوار.

كما أن (في النص الرحالي ينتج فعل الكتابة حوارا مع العناصر الثقافية والفكرية والاجتماعية واليومية مع التشكيلات التخيلية من خلال الحضور الملح للذاكرة وأصواتها)<sup>(2)</sup>. إذ ارتبط فعل الرحلة من الناحية الكتابية بالحوار.

(ومن خلال تحقيقات التحويل والتماس بين الشفوي والمكتوب، وبين المرجعيات الحاصرة في النص وانصهار ما في التاريخي، والإيديولوجي واللاشعوري ضمن متخيل كلي يعطي مرجعيات مدونة تلتقي مع علامات غافية وأخرى بارزة في شكل لغة الكلام وسجلات الوصف والتأمل والحوار)<sup>(3)</sup>.

ظهرت العديد من الدراسات والمقاربات التي اهتمت بالوصف والسردي في أدب الرحلات، وذلك بدراسة كل من تقنيات الوصف والسردي في الرحلة لأنه (قد ساهمت النصوص السردية القديمة في تغذية المتخيل الرحالي بالأحاديث والأخبار والرحلات الخيالية الغنية، كما أثرت هذه الرحلات بدورها في كتابات بعض المؤرخين وغيرهم)<sup>(4)</sup>.

---

1 - المرجع نفسه، ص: 79.

2 - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 280.

3 - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 280.

4 - ناصر عبد الرزاق المرافي: الرحلة في الأدب العربي (نهاية القرن الرابع هجري)، ص: 369.

فحال الخطاب في أدب الرحلات كما هو الحال في أي خطاب سردي يتوزع الخطاب الرحالي على صيغة السرد وصيغة الوصف، إذ تمتزج النصوص الرحلية بالفقرات السردية والوصفية التي يروها الراوي (فالراوي يتموقع بصفته قناة استحضار بفعل ارتجاعي يستعيد وقائع وأحداث يراها هامة في بناء نصار حلي. وهو بذلك يمارس التذكر من خلال السرد والوصف، مستثمرا سلطته في تقديم الرحلة بالصيغة التي يرتديها وواصفا بصيغ مدونة وهجينة بين شخص الرحالة وذات الراوي والسجلات التي تطورت بينهما)<sup>(1)</sup>.

(يحتل الوصف في النص الرحالي مكانة مرموقة، ويصبح دوره أكثر فاعلية عندما يراهن الرحالة على المغامرة والاختلاف وتكسير منطق العقل والعاطفة)<sup>(2)</sup>. ما ميز الرحالة في العلمية الوصفية أحيانا هو الانزياح وهو الخروج عن المؤلف والمعتاد فيبدع وترميز ثمار جديدة ليتفرد ويتميز بتلك اللوحة الموصوفة كشخص مبدع بأسلوبه يكسر فيه حواجز العقل بالعاطفة والمنطق.

و حضور الشعر في الرحلات العربية كان لاستعانتة بأخبار أخرى لتتميز رحلته بالمكانة التي يسعى أن تكون عليه (وإذا كان الشعر يعتبر عنصر ضمن بنية الرحلة)<sup>(3)</sup>. هنا يؤكد على حضور الشعر في الرحلة وعنصر متغلغل في الكتابة الرحلية.

---

<sup>1</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب الغربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 275.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 63.

(وحتى أن النص الرحالي يبدو مكاملة مرصعا بنصوص شعرية ترتقي نثره، بأبيات متفرقة، أو قصائد طويلة وهناك نصوص شعرية من تأليفه تتراوح بين القصر والطول)<sup>(1)</sup>. أن في النص الرحلي يكون الشعر فيه إضافة إلى النص، وقد يكون هذا الشعر على شكل أبيات مفرقة أو قصائد مطولة.

(البداية وهي الجملة الأولى في النص الرحلي، فرغم ارتباطها العضوي بالنص، يمكن المجازفة بالقول أنها عتبة لكونها مدخل ونقطة بدء الحكى وذات تأثير كبير على السرد في باقي النص)<sup>(2)</sup>. وقد عني أدب الرحلة عناية كسرة بالتعريف على البدايات الأولى للنص الرحلي لما تحمله من أهمية في ضبط كل عمل أدبي.

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص: 64.

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب الغربي (التخنيص، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 160.

# الفصل الثاني:

أ | أدب الرحلة بين القديم و الحديث

1-1 أدب الرحلة في القديم (رحلة ابن جبير).

- السرد القصصي.
- الوصف.
- الحوار.
- مركزية القران الكريم و الحديث و الشعر.

2-1 أدب الرحلة في الحديث (رحلة آثار و ديار).

- تطور وسائل النقل و كذا عتاد السفر و لوازمه.
- استعمال آلة التصوير و وسائل الإعلام لنقل المشاهد في الرحلة الحديثة.
- الوصف و الصورة.
- التأريخ في الرحلة الحديثة.
- توظيف اللغات الأجنبية و أمهات الكتب في النص,
- الرحلة و السيرة.
- الشعر في الرحلة الحديثة,
- الترتيب الزمني و المكاني في آداب الرحلة قديما و حديثا.



## I - أدب الرحلة بين القديم والحديث:

### I - 1 - أدب الرحلة في القديم (رحلة ابن جبير):

يعد أدب الرحلة أحد الأنواع الأدبية المتميّزة والمعروفة؛ فهو مرتبط بالرحلات التي قام بها الإنسان منذ الزمن الغابر، فالآدمي بطبعه مفطور على التنقل والتجوال من بقعة إلى أخرى، والسعي في الأرض واكتشافها، من هنا كان ظهور هذا الفن، إلى أن ارتقى إلى مصافّ أدب ذي أبعاد وخصائص مميّزة، ممثلة لهذا النوع الأدبي منذ بداية ظهوره، وهذا ما سنتطرق إليه في بحثنا، محاولين استخلاص هذه الخصائص التي تميّزه، انطلاقاً من رحلتين: إحداهما قديمة هي (رحلة ابن جبير)، وثانيتها حديثة هي (آثار وديار).

### I - 1 - 1 - السرد القصصي:

**المدلول اللغوي واللفظي للسرد:** السين والراء والبال أصل مفرد، وهو يدل على توالي أشياء كثيرة ببعضها بعض، من ذلك السرد اسم جامع للدروع وما يشبهها من عمل الحلق، قال الله جلّ جلاله، في شأن داود عليه السلام: (وقدّر في السرد)<sup>(1)</sup>.

إن السرد هو مكون أساسي في أدب الرحلة، ويتخذ الرحالة وسيلة لتقديم نصه وعرضه، في نقل تلك الأحداث أو المغامرات التي تصادف طريقه، ويقصها علينا وينقلها، لذلك يلجأ إلى السرد القصصي، كتقنية تؤمن له هذا النقل بتفاصيله.

ويتأكد ذلك ممّا ورد من آراء عن كثير من الدارسين والباحثين في هذا المجال، ف(الرحلة بوصفها عملاً سردياً يتأسس على ثنائية متن/ خطاب، فإن الراوي/ المؤلف يقوم

<sup>1</sup>- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاس اللغة، ص 157.

بتحويل المتن إلى خطاب سردي تنتجه ألفاظ اللغة، فيستعمل أسلوبًا مخصوصًا في هذه العملية التحويلية، ولما كانت الرحلة حكاية فإن فحوص أدبياتها من مهمة السرديات، وتحقق أدبية الرحلة بتحقيق الأبعاد السردية<sup>(1)</sup>.

ويبدو جليًا أن السرد هو الوعاء الحاوي لكل عمل رحالي، إذ يمثل تلك الوسيلة المعبرة والدقيقة له، سواء سرد الوقائع والأحداث والأماكن والمسالك التي طاف حولها، أو حتى الأشخاص، وكل القصص التي شاركها طيلة هذه الرحلة مع غيره وسردها لنا، فيُقدّم الرحال على سرد المواقف المختلفة بشكل أدبي راق، وبأسلوب لائق، مما يجعله أدبا قائما على مجموعة خصائص، أهّلته لأن يحظى بمكانة بين مختلف الأجناس الأدبية.

(وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع الأسلوب؛ من السرد القصصي، إلى الحوار، إلى الوصف وغيرها، فإن ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوّق)<sup>(2)</sup>.

وفي الحديث عن أية رحلة، ينبغي الإشارة إلى عنصر السرد، الذي يتولى مسؤولية تبليغ تفاصيل هذه الرحلة، من خلال مجموعة أحداث وقصص يقصها لنا السارد، لذلك نجد الرحال يسرد، ويقص عن البلدان التي زارها، أو الأشخاص الذين التقى بهم، أو عن عاطفته خلال هذه الرحلة.

<sup>1</sup> - عبد العليم محمد إسماعيل علي: تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، الدورة الثامنة، 2018، ص: 12.

<sup>2</sup> - حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، درا الأندلس، ط 3، 1403هـ/1983م، ص: 7، 8.

يجد الرحالة في السرد النهر الذي من خلاله تجري الأحداث والوقائع، وهذا ما يحدث في العديد من الرحلات المختلفة؛ إذ نجده غارقاً في السرد، وقص الأحداث بأدق تفاصيلها، ومثال ذلك ما نجده في رحلة "ابن جبير"، موضوع دراستنا، حيث يظهر ذلك في المقطع التالي: (فمن أول ما شهدنا فيها يوم نزولنا، أن طلع أمنا إلى المركب من قبل السلطان، لتقيد جميع ما جلب فيه، فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين، واحداً واحداً، وكتب أسماءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وسأل كل واحد لديه من السلع...) (1).

لقد امتازت رحلة ابن جبير بغزارة الطابع السري فيها، فنجده يقص علينا ما شاهده في مغامراته الطويلة هذه، ويولي العناية الكاملة في محاولته الكشف عن تفاصيل الرحلة، من بدايتها إلى نهايتها؛ فنجد مجموعة من الأحداث والحركات والأفعال، التي تتشكل كلها من خلال تقنية السرد القصصي، التي عكسها في العديد من التجارب المتباينة، وهذا ما لا ينكره الباحثون: (كما نجد شوقي ضيف، يدافع ويرفع التهمة، التي ترى أن أدب الرحلة لم يعالج فن القصة، لأن الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي مرّ بها الرحالة، أو يقصدها، إنما هو بصورة ما، لون من ألوان القصص) (2).

لقد سعى الباحثون في أدب الرحلة إلى تأكيد هذا اللون، وهو القص في الخطاب الرحالي، فلا يعقل بطبيعة الحال، أن نجد الرخال يسرد مجموعة أحداث متتالية ومختلفة، في

---

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص: 13.

<sup>2</sup> - منصور نعيمة: جمليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة (دراسة تحليل تطبيقية)، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السانوية، 2010/2011م، ص: 10.

زمن ومكان مختلفين، وهذا ما يتطلب استخدام السرد القصصي بكثرة، فهو أحد أهم أعمدة النص الرحالي، كما يعود إليه الفضل في الإبحار كثيرًا في خبايا الرحلات، من قصص متنوعة ومتباينة، من كل بقعة يدوس أرضها، فلا بدّ أن ينقلها للقارئ، ويقصها، فلكل موقف قصة، فلا يمكن لرحلة طويلة أن تتمحور أو تدور أحداثها حول قصة واحدة، وهو فعل الرحيل، وإنما هي مجموعة رحلات قائمة على التنقل من منطقة إلى أخرى، مع التعريف بوجوه جديدة، وعادات وتقاليد ومشاكل وأحاسيس مختلفة يتعرض لها الرحال، فكلها شكلت لنا نصا رحليا، بمختلف الأهداف التي كانت يرمي إليها، (أيا كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية، فقد اتصف أغلبية الرحالة - ولو بدرجات متفاوتة - بدقة الملاحظة، والوصف، والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق)<sup>(1)</sup>.

خاصية القص في الخطاب الرحالي معبرٌ، مرّ به العديد من الرحالة، باختلاف المقاصد والغايات، لكنّ نجدهم كلهم يجمعون تفاصيل هذه الرحلة، بطريقة قصصية سردية مشوقة، تجعلنا نعيش تلك اللحظات، إذ نجده غارقًا في قصص كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، وذلك بقدر ما تمر عليه من أوقات، وساعات وأيام وأسابيع وسنوات، فكلها عبارة عن كومة عارمة من القصص المبعثرة، التي يقوم الرّحّال بجمعها، بأسلوب قصصي سردي متقن. ونجد ذلك في مثال، يعكس لنا مدى هيمنة السرد القصصي في الرحلة العربية القديمة، متمثلة في رحلة ابن جبير (يوم الجمعة الثالث من يوم أرسينا فيه، جاء سلطان الجزيرة

---

1 - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص: 12.

المذكورة، مع جملة من الحيل فنزل إليه أشياخ المركب من الروم، واجتمعوا به، وطال مقامهم عنده، ثم انصرفوا، وانصرف إلى موضع سكناه<sup>(1)</sup>.

أبدع ابن جبير، في تحصيله الدقيق لعدد كبير من القصص، التي مرّ بها بشكل مفصل، من كل الجوانب، مقدّمًا تقريرًا كاملاً لبعض المشاهد، متّخذًا القصّ الأنيس الذي استوفى به رحلته، فأبدع في التعبير عنها، بأساليب لغوية مشوقة، تجعل من القارئ يعيش مغامرات هذه الرحلة، من خلال العملية السردية؛ ف(الخطاب الرحالي، يحمل العديد من الجماليات على المستوى السردى واللغوي والأسلوبي، ممّا أهّله لأنّ يكون موضوعًا جادًا، لقراءة جادة واعية بنماذج حديثة)<sup>(2)</sup>.

ما ميز أدب الرحلة القديمة هو الامتزاج الكبير في الأساليب المختلفة، التي تجعل القارئ يتشوق، ويرغب بشكل أكبر في معرفة كل تفاصيل الرحلة، دون تردد أو ملل، وهذا بفضل براعته، والتلاعب في ربط الأحداث، وكذا توظيف عنصر التشويق في كل قصة يقصها، وقد برع في رصده هذه الجولات، التي تكاد تكون مميزة عن كل حكاية تمر عليه، بمختلف المواقف.

إن العديد من الخطابات الرحالية اعتمدت على السرد القصصي، كتقنية أمينة في نقل تلك المشاهد، ويمكن القول إنهم جميعا اعتمدوا على هذه الطريقة، للخروج بخطاب رحالي مخوف بعدة قصص، يحكيها الرجال، وكنموذج لذلك: (وإذ بلغ الباشا السراى بهذا الموكب

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 9، 10.

<sup>2</sup> - منصور نعيمة: جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة دراسة تحليلية تطبيقية، ص: 7.

العظيم، أطلقت مدافع القلعة مائتي طلقة، وعزفت موسيقاها أنغاما شجية، إيدانا بالفرح والسرور، ثم ينعم الباشا على الجنود بخمسة أكياس هدية لاحتفالهم به<sup>(1)</sup>.

يسرد لنا الرحال هنا تفصيل يوميات الباشا، والأعمال التي يقوم بها، وكذا تنقله وتجوّاله، فنلاحظ أنه يسرد بطريقة عفوية، معبرة عن المشهد وبدقة.

وفي مشهد آخر لابن جبير: (إنا أقلعنا من ظهر يوم الأحد، السادس عشر من الشهر المذكور، وفي مدة مقامنا بالمرسى المذكور، جدّنا الماء فيه والحطب والزاد، وهبط واحد من المسلمين ممن يحفظ اللسان الرومي مع جملة من الروم)<sup>(2)</sup>. كان ابن جبير يسرد الحكايات، إذ اعتمد إلى نقلها بأحداثها المتسلسلة، بكل وضوح؛ كذكر المكان والزمان، وربط الأفعال والأقوال معا، ربطا منسجما، دون أي فراغ بين حدث وآخر، إذ كان لكل قصة بداية وحبكة ونهاية.

عند إطلاعنا على عدد من الرحلات، وعند الشروع في قراءة أية رحلة منها، نلمس دائما الطابع السردي لها، فالرحال لا خيار له في نقل المشاهد إلاّ السرد، فلا تكاد تمر عليه واقعة، إلا ووجدناه قد انطلق في قصّها، لأنها تشكل جزءا من سفره، فلو غاب السرد القصصي في الرحلات، لوجدنا أن الرحلة تدور فقط ما بين الانطلاق في الرحيل، والوصول إلى المكان المنشود، دون ذكر التفاصيل التي حدثت بين المكانين، لكنّ هذا الأمر يجعل من رحلته رحلة ممّلة، ينفر منها القارئ، وتغيّبه أدبيّا عن تفاصيلها. والملاحظة نفسها نجدها

---

<sup>1</sup> - أولى جبلي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، ص: 24.

<sup>2</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 9.

أيضا في (الرحلة إلى اليابان)، حيث نجد الرجال ينطلق في سرد تفاصيل رحلته: (وما كدت أفرغ من النظر بين الخيالة إلى هذه الجزر، حتى اعترتني دهشة وقشعريرة، وحزن استولى على القلب، حينما وقفت على سواحل اسبانيا)<sup>(1)</sup>.

يُجد الرحالة نفسه ملزما بسرد التفاصيل بحذافيرها، دون إهمال أي جانب، فيسرد لنا كل ما وقع له، حتى ما تعلّق بحالته النفسية وشعوره، فيذكر ذلك في أسلوب سردي جد مقنع؛ يجعل القارئ يعيش ذلك الموقف، ويشعر بذلك الشعور، دون أي تأثير لبعده الزمان أو المكان بينهما. إن الشعور بما في ذلك السرد يجعل القارئ يعيش أحداث الرحلة كما عاشها السارد.

الأسلوب القصصي هو محور كل عمل رحالي، فمن المستحيل أن نجد رحلة أو خطابا رحاليا قديما يخلو من هذا الأسلوب، لأنها تعدّ المادة المنتجة في يد كل رحال يدوّن مجريات سفره، والأسلوب القصصي من خصائص الرحلة القديمة، حيث يحكي الرحال باستمرار ما يشاهده من غريب أو عجيب أو منكر أو مستحب، ولذا برع في سرده أخبار الناس، ونمط عيشهم، وكذا شربهم وملبسهم ومأكلهم وطبائعهم، وتتوعدت كل حكاية بتنوع الرحلة والوجهات المقصودة، وكذا الأجناس المرتحل إليهم، لهذا ولد لنا العديد من الأحداث التي لا تعد ولا تحصى فلكل حكاية حكاية، يلجأ إليها كل من يحمله الفضول لمعرفة ما وراء البحار والحدود، ليتمكن من تثقيف نفسه، ويتتبع أخبار الثقافات المختلفة، (بل هنالك من يبالغ ويّزعم أن أدب الرحلة أو الرحلات عموما، (من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط، هو

<sup>1</sup> - علي أحمد الجرحاوي: الرحلة اليابانية، ط 1، جريدة الثوري بالفضالة، بمصر، 1325م، ص: 16.

أنها خير دليل على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة، ومن غير شك أن من يتهمونه هذه التهمة، لم يقرؤوا ما قدمته كتب الرحلات من قصص، عن زنج إفريقية وعرائس البحر<sup>(1)</sup>. إسقاط فن القصة واستبعاده أمر مرفوض، لأنه نفي لعدد كبير من القصص التي لا يُنكر فضلها القارئ، فالعديد من القصص التي يتضمنها النص الرحالي كانت بمثابة مصدر معلومة جديدة للقارئ.

ساهمت العديد من القصص المختلفة، وبشكل كبير جدا، في تحصيل الثقافات المختلفة، بل ساعدت الكثير من الباحثين، على تقديم معلومات جدّ مقربة ومضمونة عن سلوكيات أو أخبار الأمم والممالك، فشرب منه كل باحث متعش لمعرفة الخبايا، وحتى معلومات قبلية لرجال آخر، ينوي أن يرتحل، فبذلك ينتفع من معلومات قبلية، عن أية أمة أو شعب، وكيف يتعامل مع تلك العقلية أو المناخ أو الطبيعة، فالاطلاع على هذه القصص المسرودة لنا عن طريق خطابات رحالية مختلفة، هو تحصيل معرفي في حد ذاته.

وهذا ما فعله ابن جبير في محاولة نقل حياة المسلمين في صقلية؛ (وليس في المدينة هذه من المسلمين إلا نفر يسير من ذوي المهن، ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب، وأحسن مدنها قاعدة ملكها، والمسلمون يعرفونها بالمدينة، والنصارى يعرفونها ببلارمة، وفيها سكنى الحضريين من المسلمين، ولهم فيها مساجد)<sup>(2)</sup>. فمثلا من يطلع على رحلة ابن جبير، يجده قد برع في نقل حال المسلمين، وعلاقاتهم، ونمط عيشتهم، بشكل دقيق جدّا،

<sup>1</sup> - سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة (قديمًا وحديثًا)، ص: 5.

<sup>2</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 297.



فالقارئ، وبمجرد إطلاعه على صفحات هذه الرحلة، يصبح عارفاً بأوضاع أخيه المسلم ومعاملاته، فهي عبارة عن وثيقة تاريخية لفترة معينة، تسجّل لنا حال كل مسلم في بقاع الله المختلفة.

يجد الرحال المتعة الكاملة في اللّجوء إلى السرد؛ إذ نجده يحكي تفاصيل رحلته بكل حيطة وأمانة، فيقدّم فيها دون سهو، ذكر الأحداث بتسلسل منضبط، ولا نجده يسبق الأحداث، لأنّه مقيد جدًّا بالجدول الزمني، وهو يسرد بذكر اليوم والشهر، وكذا ذكر الأماكن كما مرّ عليها تماماً، فلا نجده يخلط بين الأحداث والمشاهد، بل يفعل ذلك بخطة نظامية جدّ محكمة، وفي ذلك يذكر بعض الباحثين: (وقد شدّ عن هذه التعريفات إسماعيل درديجي حين قال: «الرحلة مادة حكاية قائمة على السفر والانتقال، تجري في زمن مسجل بدقّة، تحكي أحداثاً وقعت في أمكنة متعددة»<sup>(1)</sup>. أي أن من واجب الرحال أن يكون حريصاً وأميناً على نقل الأحداث، في الأزمنة التي وقعت فيها، أي أنّه يدوّن لنا التاريخ بأكمله، في كل حكاية، حتى يسهل للقارئ معايشة أحداث الرحلة، ومثال ذلك، ما ورد في رحلة ابن جبير: (الخميس الرابع والعشرين من الشهر المذكور، ثم أقلعنا منه عشية يوم الجمعة بعده، منفردين دون المراكب المذكورة)<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العليم محمد إسماعيل علي: تقنيات السرد، أساس أدبية الرحلة، ص: 6.

<sup>2</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 318.

لقد سعى ابن جبير إلى ذكر التاريخ ذكرا مفصلا، دون أي تقصير، وهذا ما يزيد الرحلة قدرةً على احتواءٍ شاملٍ لخصائصها؛ فالتاريخ دليل أو علامة على وجود حركة وتنقل، أي، على وجود رحلةٍ كفعلٍ حقيقيٍّ قائمٍ على مشوارٍ طويلٍ. وعليه، فإن الرحلة فعل قائم على الحركة والتنقل، مما يُنتجُ لنا جملة من الأحداث، والعديد من الحكايات المختلفة، باختلاف الزمان والمكان، لذلك كان عاملا مهما لولادة أسلوبٍ لائق لرصد هذه المعلومات، فكانت نتاج أسلوبٍ سردي قصصي تبنى هذه المعلومات، بأسلوبٍ راقٍ، يترك في كل قارئ انطبعا عن ثقافته، أو فكره، أو تحصيله المعرفي، بلغةٍ سرديةٍ وحكايةٍ مفصلةٍ ودقيقة، مما جعلها ترتقي إلى أدب ذي خصائص وميزات أدبية وفنية، تعكس هذا الأدب القيم، فالسرد القصصي أعطى للنص الرحالي قيمةً أدبية، جعلته محور العديد من الدراسات، بل زاحم الكثير من الأشكال الأدبية من خلال هذه الخصائص.

## 1 - 1 - 2 - الوصف:

### المدلول اللفظي واللغوي للوصف:

«(وصف): المهر والناقة ونحوهما (يصف)، وصفا وصوفا: أجاد السير وجدّ فيه والصغير المشى وصفا أضافه والشئ، وصفا وصفته نعتة بما فيه»<sup>1</sup>.

يعد الوصف أحد أهم عناصر أدب الرحلة التي لا يختلف فيها الباحثون، وهي من ميزات وخصائص الخطاب الرحالي؛ فهي قائمة على وصف المشاهد التي تقع على عين

<sup>1</sup> - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط 4، 1425هـ/ 2004، مكتبة الاشروق الدولية، ص 1036.

الرجال، من خلال سفره الطويل، فقد برع الرحالون في وصف الأماكن والمدن والمسالك والسكان، وحتى مشاعرهم وعاطفتهم التي لم تغب من بداية الرحلة إلى نهايتها، (فالإنسان يحرك المكان ويشكله، ويمنحه طابعا من خصوصياته، فالشخصيات موصوفة من خلال حركتها في المكان، ومن انعكاس ما يجري على قسماتها، والوصف إنما مسخر لتقديم ملامح المكان، ومن يعيشون فيه)<sup>(1)</sup>.

يجد الرجال نفسه أمام مسؤولية نقل المشاهد وتجسيدها، كما هي في الواقع، بأسلوبه المتقن، حيث يسمح للقارئ المتمكن أن يشارك الرحالة في رحلته، مشاركة عميقة، ويرسم صورة ذهنية لتلك التعابير، من خلال العملية الوصفية التي يقدمها الرحال في خطابه الرحالي، وهذا ما تقنن فيه ابن جبير من خلال سفره، وهو يصف لنا خبايا هذه الرحلة، من مختلف الزوايا، ونموذج ذلك وصف ابن جبير لرجل التقى به: «وشأن هذا الرجل العظيم لا يستوعبه الوصف، شاهدنا مجلسه، فرأينا رجلا يذوب طلاقة وبشرا، ويخف للزائر كرامة وبراً، على عظيم حرمة، وفخامة بنيته، وهو أعطي البسطتين علما وجسما»<sup>2</sup>.

لقد برع ابن جبير في الوصف الدقيق للشخصيات التي صادفها في طريقه، فكان شديد الحرص على تقديم أوصاف دقيقة عنهم، وأن تكون مطابقة لهم، وسواء ذلك من ناحية الانطباع والأخلاق أو الهيئة، فهو يعتمد تصوير المشاهد بحذافيرها، ولا يهمل أي جانب من

---

<sup>1</sup>- احمد عبد الرزاق خليل: جماليات المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي، الجامعة العراقية كلية الآداب، مجلة الأدب، ع

1، ص: 90.

<sup>2</sup> - ابن جبير: مجلة ابن جبير، ص: 179.

وصفه، كما كان في هذا المثال؛ إذ وصف لنا شكله، وبنية جسمه، وحتى مستواه العلمي وأخلاقه، مدعماً ذلك بلغة وأسلوب راق، يليق بذلك الشخص، دون أي تهاون أو مبالغة، فالوصف في الرحلة يحتاج إلى المصداقية في الشعور، وذلك في رسم صورة تعبيرية، بلغة فنية.

إن الوصف عند الرحال ليس مجرد تعابير عشوائية، وإنما لجوؤه إلى الوصف هو جزء من عمله الأدبي، الذي يحتاج إلى ضبط، وتقنيات مساعدة، وهذا كله ليكتسي النص الرحالي وصفا ذا أبعاد ومعايير، ينطلق من خلالها الرحال.

وفي هذا الصدد نجد هذه التقسيمة للوصف:

**فبدت أبنية الوصف مقولية مكررة ضمن إطار حدده الرحالة لنفسه والتزم به، ويظهر**

**هذا الأمر في اعتماده الأنماط التالية:**

**1 - الوصف بالاسم.**

**2 - الوصف بالفعل.**

**3 - الوصف بالأداة<sup>(1)</sup>.**

يتحكم الرحال في وصفه أثناء رحلته، من خلال التنوع بين أنماط الوصف المختلفة، فمثلاً يحتاج لوصف شخص من خلال الدلالة بالاسم، وإلى الفعل أيضاً، كوصف الأفعال،

---

<sup>1</sup> - أحمد عبد الرزاق خليل: جمالية المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي، الجامعة العراقية، كلية الآداب، مجلة مداد

وكل هذا بمساعدة الأداة للربط بينهم، مما يدل على القدرة والمهارة التي يتصف بها الرحال في رسم الصورة الوصفية، بكل إتقان وبراعة.

يمكن لأي قارئ أو باحث أو دارس لأي رحلة قديمة، أن يُكوّن فكرةً عن نمط الحياة، أو حتى تخيّل الشخص الموصوف، أو المكان الذي قام الرحال بزيارته، أو العاطفة التي كان يشعر بها الرحال طيلة تنقله من مكان إلى آخر، وذلك بفضل البراعة في وصف الأشياء، والذي يجعل الرحال ذكياً هو القدرة على استنتاج المرئيات، حيث يجعل لكل مشهد وصفاً، يعكس تلك المشاهد بدقة وتمعن، وهذا ما يحزمه العديد من الباحثين، (إذ أن مهنة كتابة الرحلة تكمن بالأخص في جمع المعطيات، ووصفها بشكل دقيق. والوصف بهذا المعنى يعني أن المؤلف يغدو عينا على ما يجري في البلد موضع الرحلة، فهو يصف الأمكنة ويحدد المسافات ويدققها)<sup>1</sup> يقوم الرحال بمهمة وصف الأمكنة، بتقديم تقرير دقيق عن كل ما تشمله المنطقة، وحتى المسافة، وما يحويه هذا المكان، فنجدده يصف لنا الأنهار والجبال والقرى، والمسافة القائمة بينها، وكثيرا ما نجده يهتم في وصف مكان، فيبرع في وصفه، ويقدم صورة جميلة له، ويمزج ذلك بالعاطفة المعبرة عن مدى سعادته بتلك المشاهد الممتعة، التي يقع عليها بصره، وأحيانا يعترف بعجزه في الوصف، لما يراه من مشاهد جميلة وجذابة لم يسبق لها مثيل.

كما نجد الرحال يصف الأشخاص وهيئتهم، التي تختلف من شعب إلى آخر، فتتعدد الأوصاف، وتتنوع من منطقة إلى أخرى، لأن لكل شعب مواصفاته، فيتخذ الرحال لكل مشهد

---

1 - ابن جبير: رحلة ابن حبير، ص: 179.

صورة معبرة، وهذا ما يظهر في المثال التالي، حيث أبداع الرحال في وصف أهل مصر، والانكشارية، والغربان، (وأما غيرهم من المصريين والانكشارية والغربان، فلهم أن يلبسوا أردية من أنواع الجوخ الحراني، ويلبسوا على رؤوسهم عصابات، ويتحزموا بأحزمة مختمة، ويحملوا سكيناً كسكين الطهارة)<sup>1</sup>.

من خلال هذا الوصف، يتمكن أي مطلع على هذه الرحلة، من معرفة نمط الحياة في مصر وغيرها، من خلال هيئة لباس أهلها وتقاليدهم وشكلهم، فبمجرد قراءة هذه المجموعة من الأوصاف، يتبادر مباشرة إلى الأذهان، نمط هذه العادات، وطريقة اللباس، وبشكل عام ثقافة كل بقعة يزورها الرحال، من خلال هذا النقل الدقيق.

لا يمكن لأي تجربة رحالية أن تخلو من الأسلوب الوصفي، فنجده مباشر ويشعر في وصف المحيطات والبحار، والمسالك التي مر منها، فيحاول نقل كل ما تراه عينه. أكد المؤرخون، أن العمل الذي قدمه ابن جبير خير نموذج على البراعة في وصف الأشياء بكل أمانة وخبرة، وهذا ما أكد عليه الباحث "فؤاد قنديل"، وغيره من الدارسين في أدب الرحلة: (يرجّح المؤرخون، ونحن منهم، أن ابن جبير كان يسجل ما يشاهده في أوراق منقطة على شكل مذكرات يومية، إذ نجد مع وصف كل بلدة أو جزيرة، تاريخ زيارتها، والمشاهد باليوم والشهر)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - نهلة الشفران: خطاب أدب الرحلات من القرن الرابع هجري، ط 1، الأردن، 2015، ص: 13.

<sup>2</sup> - فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 386.

لقد أعد ابن جبير العديد من الأمثلة الغنية بالوصف، فقد أغنى بوصفه العديد من المسائل، وأبرزها بشكل فني بارع، سواء كان وصفا سطحيا أو عميقا، فقد حرص على أن يوفي كل العناصر حقها، وأن يكتسي الموصوف الصورة التي تنطبق عليه، دون اختلاف شاسع بين تعابيره اللغوية، والواقع الموصوف، ومثال ذلك: (وبجهة المسفل، وهو آخر البلد، مسجد منسوب لأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، يحف به بستان حسن، فيه النخيل والرمان، وشجر العناب، ومتجر الحناء، وأمام المسجد بيت صغير، فيه محراب)<sup>1</sup>.

بمجرد الشروع في قراءة مقطع وصفي في الخطاب الرحالي، تبدأ مخيلة القارئ دون وعي، تتخيل هذه الموصوفات، بمساعدة مجموعة من الأوصاف التي قدمها ووضعها الرحال بين يديه، كدليل مساعد في الدعوة الملحة من طرف الرحال القارئ إلى مشاركته هذه الرحلة وتفصيلها، وما يسمح للقارئ أن تتشكل له معرفة وفكرة عن هذه الأماكن المقدسة، دون زيارتها، ومنبع هذا الفضل هو وصفه الراقي والأمين، حيث يصف لنا المكان أو المعلم كما هو، وعلى حقيقته دون زيادة أو نقصان؛ فيصف اللون والعدد والجهات كما هي، دون تحريف، حيث يشعر الرحال بضرورة التحلي بمسئولية نقل المشاهد كما وجدت منذ السلف، أي الحرص على تقديم المعلومات بكل مصداقية وأمانة، دون تدخل أو تصرف شخصي، فالإنسان الذي يزور هذه الأماكن، ويقراً ما كتبه ابن جبير مثلا: وصفه للكعبة والحرمين، كلام مطابق للواقع، فلا نجد اختلافا كبيرا بين ما قرأه وما شاهده، وهذا دليل على براعة الوصف عند الرحالة، فعنصر الوصف في أدب الرحلة ككل، هو الذي جعل من الخطاب

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 93.

الرحالي روحا عاكسة لفعل الرحلة بالذات، فلا يمكن للخطاب الرحالي أن يخلو من مشاهد تستحق وصفا يعبر عن المكان، (وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته، بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب)<sup>1</sup>.

تستدعي العملية الوصفية أسلوبا ولغة معبرين عن هذه المشاعر والأحاسيس، وهذا كله يتوقف على مدى مطابقة كلام الرحال مع الصورة الموصوفة، فكما كانت قريبة ومطابقة كان الهدف المنشود محققا، أي هو نجاحه في عملية استحضار المكان إلى ذهن القارئ، فحتى ولو لم تسنح له الفرصة لزيارة المكان الموصوف، فالوصف وسيلة لتقريبه وتحديد معالمه، وهكذا، فكما كان الوصف مفصلا ودقيقا وصادقا، كلما تحققت العملية التبليغية للوصف.

وإلى جانب الأماكن العديدة التي زارها الرحالون، فحظيت بأهمية بالغة، ووصف دقيق، "البقاع المقدسة"، لقد كتب عنها الرحالة عند زيارتهم لها، وعن مدى إعجابهم بها، كالكعبة الشريفة والحرمين الشريفين، وكذا القبور؛ كقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبور الصحابة، فلطالما أعجب الرحالة وانبهروا بها، وسعوا إلى وصفها دون سهو أو تقصير، لما لها من أهمية وأثر كبير في قلوبهم، وكذا لتمسكهم بالدين، وكل ما يتعلق به وبأركانه

---

<sup>1</sup> - ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في أدب العربي حتى نهاية القرن الرابع للهجري، ط 1، دار النشر لجامعة المصرية

مكتبة الوفاء، سنة 1415 هـ / 1995م، ص: 38.



وأُسسه، باعتبار هذه الأماكن الطاهرة جزءاً من ذلك الدين، فأغلب الرحالة هم في الأصل رجال دين، وكانت الرحلة في أغلبها ذات دافع ديني، وغايتها أداء فريضة الحج، فأبدعوا في وصف الرحلة إلى الحج، بأسلوب وصفي، وبدقة تامة، فاجتهدوا في نقل تلك الصور الحية بكل تفصيل: (وغالبا ما كانت الرحلة إلى الحج تقترن بزيارة الأماكن المقدسة بالشام وفلسطين، لما كان لهذه الأماكن من منزلة أكثر عند هؤلاء)<sup>1</sup>.

كان الرحال يتشوق لزيارة هذه الأماكن، فيشرع في الرحلة قصد استكشافها من جهة، وأداء الفريضة من جهة أخرى، ولهذا، فقد وصف كل ركن وزاوية ومعلم وشارع ومسجد، حلّ بصره عليه، وترك في نفسه أثراً، وأفضل مثال على ذلك رحلة ابن جبير، التي يصف لنا فيها بلاط الحرم، فيقول: (وفي أعلى بلاطات الحرم سطح، يطيف بها كلها من الجوانب الأربعة، وهو مشرفّ كله بشرفات مبسوطة مركنة، في كل جانب من الشرفة ثلاثة أركان كأنها أيضا شروفات أخر صغار)<sup>2</sup>.

كان ابن جبير من خلال هذه الرحلة شديد الحرص على نقل المشاهد والأماكن بحذافيرها، فنحسّ أنه يستتطق تلك الأماكن، ويبعث الروح فيها، ويجد أن لكل مكان خاصيةً وصفةً لا بدّ أن تُذكر: (وفي باب الكعبة المقدسة نقش بالذهب، رائق الخط، طويل الحروف، غليظها، ترتمي الأبصار برونقه وحسنه، مكتوب فيه: "مما أمر بعمله عبد الله

<sup>1</sup> - علي إبراهيم كردي: أدب الرحلة في المغرب: ص: 13.

<sup>2</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 76.

خليفة الإمام أبو عبد الله محمد، المقتفي لأمر الله، أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى الأئمة<sup>1</sup>.

ونحن نقرأ هذا المقطع يظهر جليا طريقة الوصف عند ابن جبير، حيث كان يصف الكعبة، فلم يتجاوز أي فصل يخص هذا البيت الشريف، إذ يتعرف القارئ على مواصفات الكعبة من خلال ما يقرأه في رحلة ابن جبير، فيعرف أن في باب الكعبة نقشا من ذهب، وحتى وإن لم يتمكن من زيارتها، إلا أن وصف ابن جبير له، يجعله حاضرا في تلك البقاع، وتتشكل في مخيلته صورة للكعبة وللبقاع المقدسة كلها، بسبب تفجر القوة الإبداعية للرحلة في خطاباتهم الرحالية. لقد أبدعوا في الوصف بأساليب مختلفة، ولغة احترافية، «فإن الإنسان في حياته الدنيا بحاجة ماسة إلى الرحلة والانتقال، لتحصيل خبر الدنيا والآخرة، يتحرك وينتقل من مكان إلى آخر، سعيا وراء الرزق، أو أداء لواجب العبادة لله، نحو تحصيل علم نافع، أو أداء فريضة الحج والعمرة<sup>2</sup>. ومن هنا نستنتج أن أداء مناسك الحج، كان جانبا مهما في النص الرحالي، وهذا ما أبرزه عنصر الوصف فيه، حيث كان الوصف في الرحلة العربية القدسية، أغلبه وصف للأماكن الطاهرة، فكثيرا ما نقرأ وصفا لقبور الصحابة، وجبل عرفات، والمسجد، وكيفية أداء الفريضة، أو إلقاء الخطب، أو الصلاة، وغيرها، فقد كان الرحال متصلا بالجانب الديني، لذلك ركز وبشدة على هذه التفاصيل، وحرر العديد من الكتابات المخصصة لها، (وعلى الحرم الشريف جبل أبي قبيس، وهو في

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 69.

<sup>2</sup> - عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، ص: 8.

الجو الشرقية، يقابل ركن الحجر الأسود، وفي أعلاه رباط مبارك، فيه مسجد، وعليه سطح مشرف على البلدة الطيبة)<sup>1</sup>، يقوم الرحال هنا بتحديد موقع الحرم الشريف في البلدة، ووصفه فمن خلال هذا الوصف يتسنى لنا معرفة أركانه، وشكله الداخلي والخارجي .

## 1-5- الحوار :

### المدلول اللغوي واللفظي للحوار:

(الحوار): (حديث يجرى بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح)<sup>2</sup>. ويعد الحوار عنصرا أساسيا في الخطاب الرحالي، إذ يحظى بأهمية بالغة، شأنه شأن السرد القصصي، بحيث توصف الرحلة بكونها مجرد مجموعة أحداث ووقائع، تقودها شخصيات معينة، على رأسها الرحال ومن يصادفهم من شخصيات على طول رحلته، مما يستوجب بشكل أو بآخر حوارا لدواعي تواصلية، فالإنسان كما لا يخفى اجتماعي بطبعه، يربط علاقاته بالأطراف الأخرى عن طريق الحوار والتواصل، وأحيانا لا يستلزم الحوار وجود طرف آخر بالضرورة، وهذا ما يدعى بالحوار الداخلي، ففي كثير من الحالات نجد الرحال يتحدث مع نفسه، مستغرقا في أفكاره، باحثا في أعماق ذاته، وكلا النوعين من الحوار متوفران في النص الرحالي، (ولعل أبرز ما يميز أدب الرحلات: تنوع

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 85.

<sup>2</sup> - معجم الوسيط، ط 4، ص: 205.

الأسلوب، من السرد القصصي للمغامرات، والعواطف المحركة للبشر، إلى الحوار، ووصف الطريق وغيره، وبما فيه من متعة ذهنية)<sup>1</sup>.

كل هذا التنوع في توظيف الأساليب المختلفة جعل من النص الرحالي، نصاً مليئاً بالألوان والحياة، ذا محتوى متنوع، وذا قيمة أدبية راقية، فالقارئ يجد نفسه أمام عدد من العناصر المتلاحمة المكملة لبعضها البعض، وما يغذي ثقافته بشكل أو بآخر، بالإضافة إلى المتعة التي يحصل عليها، من خلال قراءته لهذا النص، ما يدفعه أكثر لفهمه.

لطالما كان عنصر الحوار في أدب الرحلة، هو المحرك الأكبر لتبلور الأحداث، واستمراريتها في التطور، فهو قائم على الكلام، أو الحديث بين شخصين أو أكثر، وهذا الحديث بطبيعة الحال يولد أفعالاً، تولّد، هي بدورها مجتمعةً، قصصاً، وتغطّي تجارب الرحال التي صادفها خلال مشواره الرحالي، فكل حديث قصة، والقصة هي جوهر النص الرحالي كما سبق الذكر.

لقد وظف جل الرحالة، إن لم نقل كلهم أسلوب الحوار، لما له من الأهمية، والحوار بارز في نقل تفاصيل الرحلة، فالرحال عادة ما ينتقل رفقة أصدقائه أو أهله أو أنيس ما، وإن لم يكن الحال كذلك منذ البداية، فسرعان ما يتراءى له أشخاص، يتعرف عليهم، ويتشارك معهم رحلته، أو على الأقل محطات منها، مما يستدعي بالضرورة وجود حوار، فالإنسان لا يمكنه العيش في عزلة، وهو مفطور على التواصل مع غيره لتحقيق حاجياته.

<sup>1</sup> - نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، من نهاية القرن التاسع الهجري، ص: 54.

وقد يحدث أن نصادف حوارا مدرجا في نصه، بين شخصيات فرعية، وأقل ما يقال عنها، أنها غير فعالة، وهذا ما نجده في رحلة ابن جبير: (فسألهم عن وجهتهم، واستطلع ما لديهم، فأعلموه أنهم قاصدون بيت الله الحرام، وأنهم ركبوا البر، وكابدوا مشقة صحرائية، فقال: لو وصل هؤلاء، وهم قد اعتسفوا هذه المحاصيل التي اعتسفوها، وكابدوا من الشقاء ما كابدوه)<sup>1</sup>، ويظهر جليا هنا، أن المقصد من توظيف الحوار، هو التصوير الدقيق، والأمانة في نقل تفاصيل القصة، (وهم يميلون إلى استخدام السرد القصصي، باعتبار أن الرحلة حكاية لها بداية ووسط ونهاية، كما يستخدمون الوصف أحيانا، حتى ينفعلوا إزاء موقف معين، أما أفضل ميزاتهم فتتمثل في الاستخدام الذكي للحوار الكاشف الدال)<sup>2</sup>.

يحرص الرحالة على المزج بين هذه المكونات الثلاثة بعناية شديدة، لما تلعبه في النص الرحالي من دور. فهي عناصر متكاملة ومترابطة، فحضور عنصر هو استدعاء حتمي لباقي العناصر، وعليه فالحوار جزء من السرد القصصي، وكذلك هو جزء من الوصف، فما يقوم به الرحالة من خلال نصه هو سرد واقعة ما، موظفا في سبيل ذلك الحوار، وهذا الأخير هو نتيجة لتفاعل الشخصيات فيما بينها، وينتقل بعدها إلى الوصف، ليضفي دقة على الحوار، ولذا (يعد الحوار من أهم الوضعيات التي يقوم فيها تبادل الأدوار

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 17.

<sup>2</sup> - ناصر عبد الرزاق المواني: الرحلة في الأدب العربي في نهاية القرن الرابع الهجري، ص: 16.

بين السارد والمسرود له، ويختلف الرحالة من كونه شخصية مهمة، قد تكون مشاركة في الأحداث، فلا تسرد في فعلها السردى من بعيد، بل تنغمس في ذات الحدث)<sup>1</sup>.

ويعمد الرحالة في كثير من الأحيان إلى تسجيل كل الحوارات التي تدور بين مختلف الشخصيات سواء كان هو جزءا منها، أو متحدثا بلسان غيره من الشخصيات؛ فالحوار موجود في القصص المختلفة باختلاف الزمان والمكان، فهو بمثابة وثيقة تاريخية نقلت الرحلة، وسجلتها بتفاصيلها، و(يمكن تقسيم الأعمال الأدبية إلى: سردية وحوارية ووصفية، ولا يعني أن هذه التقسيمات تقوم في عزلة عن بعضها؛ فالعمل السردى - مثل الرواية - قد يحتوي على مساحات كبيرة من الوصف والحوار، والعمل الوصفي - مثل الشعر - قد يحتوي على أبعاد سردية وحوارية مهمة، وكذا العمل الحوارى - مثل المسرح - يحتوي على وصف بالضرورة لأنه أصلا حكاية)<sup>2</sup>، شكّل هذا التكامل وهذا الترابط علاقة وطيدة بين مجموعة من الأساليب، تتداخل فيما بينها، لتجري في مجرى واحد؛ فالحوار فن نجده في القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الشعر، أو الحكاية، وهذا دليل على الوظيفة التبليغية التي يؤديها الحوار، وعلى مدى مساهمته في الربط بينها.

فالسرد القصصي عنصر مهم، ولعله الدافع الأكبر لوجود عنصر الحوار، فالرحال عندما يسرد مشهداً معيناً، أو واقعةً ما، فهو ينقل ما يسرده منفصلاً حيناً، وموجزاً حيناً آخر، وأحياناً نجد الحوار صريحاً؛ كأن نجد الفعل قال أو قلت، أو أخذ يتحدث... وغيرها من

---

<sup>1</sup> - عيسى بخيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه، ص: 383.

<sup>2</sup> - عبد العليم إسماعيل علي: تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص: 10.

عناصر الحوار التي تقع بين طرفين أو أكثر، وأحيانا يكون الحوار الذي ينقله في المشاهد التي تصادفه، حوارًا غير مباشر، أو حوارًا مختصرًا، دون التصريح بالأقوال المنسوبة للمحاورين ذاتهم، فيتصرف السارد أو الرحالة بها بطريقته وأسلوبه: (ووصل ومعه من أمراء الأعاجم الخراسانيين، ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين، واحدتهن خاتون، ومن السيدات بنات الأمراء كثير، ومن سائر العجم عدد لا يحصى، فوقف الجميع، وقد جعلوا قدوتهم في النثر الإيمان المالكي)<sup>1</sup>.

لا يمكن لجماعة من الناس كهذه أن لا يكون حوار بين أفرادها، بعد أن اجتمعوا، وأن لا يناقشوا موضوعا ما، ولا يعقل لجماعة أن تلتقي لسبب معين، ثم لا يكون حوار، حتى وإن كان الرجال قد غطى لنا هذا المشهد بشكل سطحي، فأبي قارى، يدرك أن هذه الحلقة الفارغة هي جملة من الأحاديث التي تم - فقط - التجاوز عنها.

#### 1-4- مركزية الشعر والحديث الشريف والقرآن الكريم في النص الرحالي

**القديم:**

إن النص الرحالي نص ثري جدا، ويمتاز بتداخل الأجناس المختلفة، التي قد لا تتوفر في أغلب الأشكال الأخرى، لذلك، فأدب الرحلة هو أدب موسوعي؛ نجد فيه عدة أجناس، وعدة أساليب للوصف كما سبق الذكر؛ من أساليب سردية وقصصية وأسلوب وصفي وحواري، بالإضافة للشعر والحديث الشريف والقرآن الكريم، مما أهله لأن يكون نصا ثريا

<sup>1</sup> - ابن جبیر: رحلة ابن جبیر، ص: 153.

وغنيا، وأكسبه قيمة أدبية من بين غيره من الأشكال الأخرى، فقد كان في هذا النص تأثير شديد بالشعر والدين، كما هو معروف عند العرب، فهما عنصران حاضران بشدة، فالشعر كما هو معروف ديوان العرب، فيه دونوا تاريخهم ومآثرهم، فقد كان منذ الجاهلية الشكل التعبيري الأرقى، الذي لا يعلو على شأنه شيء آخر غيرُه، فأبدعوا فيه، وكتبوا ما لم يسبق لشكل تعبيري مثله أن يُكتب، لذلك احتضن أدب الرحلة الشعر، ووظفه الرحالة في خطاباتهم، بالإضافة إلى ذلك، يقال أن أغلب الشعراء كانوا رحالة وشعراء في الوقت نفسه (وتضمّنت رحلاتهم عددا كبيرا من الأبيات والمقطوعات والقصائد، لشعراء زارهم الرحالة أثناء سفرهم وتجوّالهم، وهم لا يحرصون على رواية ما حفظوه من أشعار الشعراء الذين التقوا بهم وحسب، بل على رواية هؤلاء الشعراء لغيرهم كذلك)<sup>1</sup>.

لقد عمد الرحالة إلى تضمين الشعر في نصوصهم الرحالية، وأولوه الأهمية العظمى، فقد وجد الباحثون في النص الرحالي الكثير من الأبيات الشعرية، واستفادوا الكثير منها، وزادت في رصيدهم المعرفي، وأعلت من شأنهم أيضا، فالرحال كان يتحكم في المعارف المختلفة، وكان للشعر نصيب هامّ في ذلك، (ثم دعا للخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر، ثم لأمير مكة المكرمة ابن عيسى بن فليّنة بن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني، ثم صلاح الدين أبي المصغر يوسف بن أيوب، ولي عهد أخيه أبي بكر

---

<sup>1</sup> - نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية في نهاية القرن التاسع الهجري، ص: 100 .



بن أيوب، وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء، تخفق الألسنة بالتأمل من كل مكان،  
وإذا أحب الله يوما عبده... ألقى عليه محبة للناس)<sup>1</sup>.

كثيرا ما استخدم ابن جبير في سرده الطويل، أو قصه عن الأسلاف، الشعر لدعم  
كلامه وتأكيد، وقد وظف الشعر لما كان يحمله من معلومات عن السلاطين والشعوب  
والأماكن، وغالبا ما نجد الشعر يمثلهم أحسن تمثيل، فكثيرا ما كان الرجال يعود إلى الشعر،  
وكان بعض الرحالة في الأصل شعراء، أبدعوا في القول: (فقد كان بعض الرحالة شعراء،  
مثل العبدري، وبعضهم يقوله بشكل بسيط، قول العالم المتفنن مثل ابن بطوطة، وبعضهم  
مُولع بالأدب والشعراء، ولقاء الشعراء، كما نجد عند التيجاني، فالعلاقة بين الشعراء  
والرحالة علاقة انسجام)<sup>2</sup>، عندما يكون الشاعر رحالة، فسيشكل هذا حتما أدبا راقيا، ونوعا  
خاصا من الإبداع، وحينما يمتزج الوجدان والعاطفة مع التجربة الذاتية والآنية والفورية،  
فسينتج لدينا شعر أشهر مما سمعناه عند شاعر، لم يحظ بفرصة السفر، فالسفر حافز  
للإبداع والتنوع وتفجير المواهب، فالرجال هنا سوف يستمد تلك الطاقة الشعرية من خلال  
الأحداث، ووصف المشاهدات، والشوق والحنين، إضافة إلى أغراض مختلفة.

لقد امتاز أسلوب ابن جبير بالتنوع؛ من السرد القصصي، إلى الوصف، وعلاوة على  
ذلك كان للشعر نصيب كبير، فقد وظفه في نصه الرحالي أثناء وصفه لبعض المشاهد التي

---

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 73.

<sup>2</sup> - نوال عبد الرحمن الشوايكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص: 97.

واجهها في مشوار سفره، (وقد استشهد ببعض الأشعار، كما ورد في حديثه عن الريح الشمالية، والرياح العاصفة الغربية:

البحر مرّ المذاق صعب لا جعلت حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه<sup>1</sup>

تعزيز النص الرحالي بباقة متنوعة من الأشعار، كان له تأثير كبير في إعلاء قيمة النص الرحالي، وهو دليل على شمولية معارف الرحال، وعلى سعة ثقافته، وعدم انحصاره في تخصص واحد، بل برع الرحال في كل مجال، وليس من السهل والهيّن أن تكون رحالا، وعالم دين، وجغرافيًا، ومؤرخًا، وحافظًا للقرآن والحديث والشعر، هذا ما جعل النص الرحالي أدبا راقيا وجميلا، (ثم إن بعض الشعراء كانت لهم رحلاتهم في داخل الجزيرة، وإلى خارجها، مع أن هذه الرحلات لم يدونوا منها شيئا، أكثر مما ورد في مضامين الشعر، وكتب اللغة فيما بعد)<sup>2</sup>.

لقد كان للشعر دور عظيم في الكشف عن العديد من الرحلات، التي لم يتم تدوينها، وبفضله، يتمكن القارئ من معرفة أسفار العرب قديما، وحركاتهم وتقلهم، فالشعر والرحلة كالورقة النقدية، قدّما لنا معا صورة واحدة، هي حياة ومآثر العرب قديما.

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير: ص: 30.

<sup>2</sup> - علي مفتاح راشد الهندي: أدب الرحلات ابن جبير الرحالة الأديب، جامعة الزاوية، ليبيا، ص: 8.

## 4-2- القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

كان أغلب الرحالة رجال دين أيضا، بالإضافة إلى الشعراء منهم، كانت العلاقة وطيدة بين الرحالة ودينه، إذ كانت أغلب دوافع الرحلات القديمة الرغبة في أداء فريضة الحج، لذلك كان الدين حاضرا، وبقوة في خطابهم الرحالي، فوجد ابن جبير مثلا شديد التمسك بالدين، ويظهر ذلك جليا في أسلوبه ولغته، وكذا في حضور القرآن والحديث النبوي الشريف، والأذكار والتسابيح في نصه الرحالي، إذ يشرع في بداية خطابه بالبسملة، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تذكرة بالأخبار، عن اتفاقات الأسفار)<sup>1</sup>

ويختتم نصه بحمد الله على السلامة، والتيسير والنجاة في رحلته الطويلة، وبالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان رجلا متمسكا بالدين ومعالمه وأسسها، وكان ذكر الله والرسول صلى الله عليه وسلم حاضرين كثيرا في نصه الرحالي، الذي أثراه بالكثير من الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية الشريفة، والمرويات عن الصحابة، وكل ما يتعلق بالدين: (والحمد لله على الصنع الجميل الذي أولاه، والتيسير والتسهيل الذي ولاه، وصلواته على

<sup>1</sup> - ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 7.

سيد المرسلين، الأولين منهم والآخريين، محمد رسوله الكريم، ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه)<sup>1</sup>.

كان ابن جبير شخصا مؤمنا خاضعا لله ورسوله، وهذا ما وجدناه في نصه الذي يعكس لنا الكثير من مواصفاته، كشخصية مؤمنة، حيث كان دائما في رحلته يذكر الله ويدعوه ويحمده.

ولعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنًا عند المسلمين، تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يشكل الدين حدثًا مهما في حياة العرب، بعد مجيء الإسلام الذي كان منعرجا في حياتهم، وفي تغيير سلوكهم، وتحديد أهدافهم، وكان لقواعد الدين وأسس وأركانه، كأداء فريضة الحج أو العمرة، دافع يستدعي السفر والترحال، بهدف الوصول إلى البقاع المقدسة، كان هذا سببا مباشرا أثرى أدب الرحلة، من خلال الرحلات الكثيرة التي قام بها الحجاج، والتي تضمنت وصف المشاهد، ومشقة السفر، والوصول إلى البقاع المقدسة، وكيفية أداء فريضة الحج، وغيرها من معالم الدين الإسلامي: (وسقف البيت مجل بكساء من الحرير الملون، وظاهر الكعبة كلها من الأربعة جوانب مكسوة بستور من الحرير الأخضر، وسدادها قطن، في أعلاها رَسْمُ الحرير الأحمر، فيه مكتوبٌ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 320.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 60 - 61

لقد كتب ودوّن الكثير من الرحالين في خطابهم الرحالي عن رحلاتهم الدينية، واهتموا كثيرا بهذا الجانب، فالخطاب الرحالي ذو الطابع الديني مكمل، وخادم للدين، ومعالج للقرآن والسنة، فالكثير من أمور الدين يجدها الباحث أو القارئ في الخطاب الرحلي، (ونحن الآن ننتظر المحمل الشريف يوم خروجه نحو الحرمين الشريفين، كي تتشكل قافلة الحب والأخوة من جديد، والأمة كلها تنتصر بحزن شديد، فإن أي ذكرى لو كانت صغيرة تذكرنا بروح الصرة السلطانية)<sup>1</sup>.

كما نجد الرحال يذكر لنا المساجد والمناطق المقدسة، ويتحدث لنا عنها، وعن حالها، وما فيها، وما قاموا به في مدة إقامتهم فيها، ويكثر فيه ذكر الله والعبادات المختلفة.

إن الاستشهاد بالحديث والقرآن في الخطاب الرحالي دليل قاطع على صلة الرحال بالدين، وعلى مدى علاقته القوية التي لا تنقطع أبدا عنه، لقد كان الدين محفزا عظيما لأدب الرحلة، فلعب الرحال دورا كبيرا في نشر الدين في أوطان مختلفة، ولعب دورا كبيرا في تقديم خدمات متنوعة للدين الإسلامي، عملا على ترسيخ أركانه وأسسها، بكل أمانة، «وعلى كل واحدة لوح، قد وضع على رأس السارية كالتاج، ألقيت فيه نقوش برسم مذهب»<sup>2</sup> إن الصفا والمروة من شعائر الله<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد كمال: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، ترجمة حازم سعيد منتصر، ص: 11.

<sup>2</sup> - رحلة ابن جبير، ص: 84.

عمل الرجال على نقل الكثير من العبادات بكل تفاصيلها، كالصلاة والحج، فقد كان الرجال يصور لنا كيفية أدائها، اعتمادا على القرآن والحديث، كدليل قاطع على حسن أدائها وفق الطريقة الصحيحة، وأحيانا نجده يروي لنا مروياتٍ عن الصحابة والأنبياء والرسل، وقصصهم وما قيل عنهم، ويعطي كل فريضة دليلا من القرآن والحديث، وهذا دليل على حرص الرجال على المحافظة على الدين، وعلى أداء هذه الأعمال كما جاء بها القرآن والحديث، (وإنه كان شخص من أوائل (القاصين) أي رواة الحكايات الدينية، ففي إحدى قصصه، يتحدث عن رحلة له ببحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)، حيث قذفت به عاصفة وهو صحبه إلى جزيرة مهجورة، رأوا فيها اللعين الدجال (Antichrist) مقيدا، ورأوا أيضا الجساوسة (the Apocalyptic monster)، اللذين سيظهرا في آخر الزمان، هذه القصة الملفقة ترجع إلى عهد مبكر)<sup>1</sup>.

كما نقلوا العديد من قصص القرآن، وعملوا على نشرها على أوسع نطاق، والمحافظة عليها من الضياع، لذلك تعمدوا ذكرها في رحلاتهم، ودونوها، وقدموا عنها مرويات الأولين، (فمى جاء السبل، عرج عن ذلك الرّدم إلى مجراه، واستمر على باب إبراهيم إلى الموضع الذي يسمى المسفلة، ويخرج عن البلد ولا يجري الماء فيه إلا عند نزول ديم المطر الكثير، وهو الوادي الذي عنى صلى الله عليه وسلم بقوله حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه: ﴿يا ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾ فسبحان من أبقى له الأبيات

<sup>1</sup> - صلاح الدين عثمان هاشم: تاريخ الأدب الجغرافي، ص: 53.

البيانات)<sup>1</sup>، فمن الواضح جليا أن ابن جبير، من خلال حديثه عن الواد ووصفه، كان لابد له أن يذكر علاقته بالدين، والمكانة التي حظي بها هذا الواد، وذلك بذكر الآية القرآنية لدعم وتعزيز قوله، وحتى المعلومات التي هو بصدد الحديث عنها.

لقد شجعت الدولة الإسلامية الرحالين على السفر، والبحث في علوم الدين، (عملت الدولة على تشجيع الرحالين، إذ يذكر أن أولى الرحلات الرسمية كانت في عهد الوثائق بالله العباسي، الذي كلف سلام ترجمان بالسير إلى جبال القوقاز، بسبب رؤية رآها حول يأجوج ومأجوج)<sup>2</sup>، هذه العوامل كانت محفزة للرحال للبحث في أمور الدين، ليكون خطابهم الرحالي ثريا بالثقافة الدينية، وقد كانت للرحال مسؤولية كبيرة من جانب الدين، وهو الذي يحفظ القرآن والحديث، وكان في كل فريضة يذكر رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، سواء أثناء أداء مناسك الحج، أو الطواف في جبل عرفات، أو أمام الحجر الأسود، حيث كان الرحالة يحفظ العديد من قصص الأنبياء، ويعمل على أن يقصها للناس، ليتعرفوا على دينهم؛ فالمسلم الحقيقي هو من كان عليما بدينه، وقصص الأنبياء، وفي هذا قال ابن جبير: (وللحجر عند تقبله ليونة ورطوبة، ينعم بها الفم، حتى يودّ اللائم أن لا يقلع فمه عنه، وذلك خاصة من خواص العناية الإلهية، وكفى أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أته يمين الله في أرضه» نفعنا الله بإسلامه ومصافحته)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 86.

<sup>2</sup> - صلاح الدين عثمان هاشم: نقله إلى اللغة العربية، تاريخ الأدب الجغرافي، ص: 69.

<sup>3</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 60.

فالحديث عن الحجر الأسود العديد من القصص المرتبطة بالرسول عليه الصلاة والسلام، فابن جبير كان موسوعيا في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، يحفظ الكثير من سنته، فما أن صادف ابن جبير الحجر الأسود، حتى وصفه، وسرد ما يعرفه من معلومات عنه، كانت هذه الصفات التي اتصف بها ابن جبير، شرطا واجب التوقّر في الرجال، خاصة حين يكون رجل دين، لأنه لا يكتفي بالوصف أو السرد، وإنما يقدم الحجج والبراهين من القرآن والحديث، فما يقدمه من معلومات في رحلته موثق، خصوصا الأمور المتعلقة بالدين.



## II - أدب الرحلة في العصر الحديث (آثار وديار):

يمر الأدب بمراحل حتى ينضج، وإذا كان أدب الرحلة معروف منذ القديم إلى يومنا هذا، فلأن الإنسان لا زال محبا للسفر والانتقال والترحال، بل إن الرغبة والأهداف أصبحت اليوم أكثر حضورا وتنوعا مما كانت عليه في القديم، لأن الرحال اليوم رحال مفطور على التحدي وحب الجديد والمغامرة والبحث عن حياة أفضل، وهذا ما وجّه أدب الرحلة حديثا إلى وجهة جديدة، وصبغه بمواصفات هي بنت العصر.

كان لأدب الرحلة مسار آخر مختلف مقارنة بما أصبح عليه اليوم، رغم أنّ الاختلاف لم يكن جذريا، لأنه ما من شيء ينطلق من العدم؛ فالرحلة القديمة مهدت للرحلة الحديثة والمعاصرة، حتى وإن اختلفت الوسائل والغايات والأسلوب ونمط الكتابة والتأليف...

أصبحت الرحلة في العصر الحديث تحاول مسايرة روح العصر، أي تتناول قضايا المجتمع وانعكاساته داخل الوطن العربي أو خارجه، وأخذت آفاق عديدة تتفتح أمامه، مما جعله أدبا قديما الولادة، ولكن بعقلية حديثة، (ولا يفوت دارس هذه الكتابات الأدبية التي تدور حول "الرحلة" جانب "المقارنة"؛ مقارنة أساليب الكتابة واتجاهاتها، ووسائلها الفنية وأدواتها التي استعانوا بها، وصولا إلى تبيان الملامح الفنية الأساسية لهذا اللون من الكتابة الأدبية)<sup>1</sup>.

لا يختلف اثنان في أن أدب الرحلة قد حدّد مساره، ولكن، طرأت عليه مجموعة من التغييرات، فلم يبق على حاله، وإنما توسعت آفاقه بشكل غير محدود.

<sup>1</sup> - سيد حامد السناج: مشوار، كتب الرحلة قديما وحديثا، ص: 85.

لكل عصر من العصور منحرج يغير مساره، لما يحمله العصر الواحد من محدّدات تميّزه ضمن سيرورة التاريخ، وما ميز العصر الحديث هو التحولات السياسية التي شهدتها العالم كله، والبلاد العربية جزء منه، ممّا أنتج رحلات عديدة بداية من عصر النهضة؛ فقد اتجه العرب في كثير من الرحلات نحو أوروبا خاصة، على غير ما اعتادوا عليه قديما، فأصبح الشاب العربي رحالا وجهته أوربا، بناء على ما كان يعيشه الوطن العربي خلال حكم الاستعمار، وقد انعكس هذا على الأدب كله، ومنه أدب الرحلة، (وقد امتد هذا الشكل الأدبي مخترقا عصرنا الحديث، بميزة انفراج في زاوية تحوله، بتحوّل الحياة العامة للمجتمع بأسره، والذي أصبح فيه العربي أكثر عرضة للصدمات الاستعمارية، التي غيرت سلوكه وتفكيره)<sup>1</sup>.

أصبح الرحال الآن ينتج ما تعيشه البلاد العربية، وأصبح يعرض لنا صورة عن أوروبا على غير ما اعتاد عليه الرحال قديما - صور شبه الجزيرة العربية، والبقاع المقدسة، والسفر إلى الحج - بل استحضر لنا صورة جديدة، وأسقط ذلك في أدبه، فالوقت قصير، والزمن قد تغيّر وانقضى، والتفكير لم يعد كما كان سابقا، لأنّه يتجدد بتجدد العصر والأجيال.

## 1 - 1 - تطور وسائل النقل وكذا عتاد السفر ولوازمه:

لقد تطورت حياة الإنسان وتغيرت مع تطور التكنولوجيا، إذ أصبحت الحياة سهلة وبسيطة مقارنة بما كانت عليه في الماضي، فالإنسان الآن أصبح ينتقل من مكان إلى مكان

<sup>1</sup> - عيسى ينتني: أدب الرحلة الجزائري في الحديث، ص: 5.

في فترة قصيرة ووجيزة لا تزيد على ساعات، وأصبحت فرصة السفر متاحة للجميع، فيمكن للرحال أن يسافر بواسطة وسائل النقل المختلفة؛ بسيارته الخاصة أو بالطائرة أو الباخرة أو القطار، بعدما كان السفر شقاءً وعناءً، ويمتد لفترة طويلة على الدابة أو القارب الصغير أو مشياً على الأقدام، في العصر الحديث أصبحت السرعة والرفاهية عنوان كل رحلة، (وقد استغرقت الرحلة على الطائرة البوينغ التونسية، بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب، ساعة وربعاً وكانت الطائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة)<sup>1</sup>.

كانت الرحلة في القديم تستغرق عمراً كاملاً، أو عدة سنوات، لما تتطلب قطعه من مسافات، فيتعب الرحالة كثيراً لكنه في المقابل يجد الوقت الكافي للمشاهدة، ولتسجيل ما شاهده، فالسفر الطويل سفر محفوف بالمغامرات، ومتعب لا يُحتمل، ووسائل النقل هنا بطبيعة الحال غير وسائل النقل في العصر الحديث، ولهذا، فقد تركت هذه الوسائل آثاراً بيّنة على الرّحة، فالمشاهد من خلال الطائرة محصورة، والزمن أمام الرحال جدّ قصير، ولذلك فإن العملية السردية قد تغيرت بما يتماشى وما أفرزته هذه الوسائل الحديثة، مقارنة بما اعتدنا عليه في الرحلة القديمة، التي ازدهرت فيها حركة السرد، بما ينقله لنا الرحال في سفره الطويل والممتد.

---

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب الرحلة، ص: 211.

## 1 - 2 - استعمال آلة التصوير ووسائل الإعلام لنقل المشاهد في الرحلة

### الحديث:

إن الانتقال من مكان إلى مكان حديثاً، يستوجب لوازم خاصة وأدوات محدّدة لقضاء حاجيات الرحال، فلا بد عليه أن يعود إليها، والاستعانة بها، وقتما احتاج إليها، نظراً لأهميتها الكبيرة في توفير الراحة، وتسهيل الأشغال، وتيسير المشاريع.

ولذلك، فعلى الرحال أن يجهز عتاده ومتاع سفره قبل الرحلة، ويتمثل عتاده ومتاعه في مأكله ومشربه ومعدات نومه ونقله، وأيضاً في اللوازم الخاصة بصيغة عمله، لاستكمال وإتمام بحثه وشغله، واستفاد الرحال حديثاً من التكنولوجيا؛ إذ يأخذ معه آلة التصوير لالتقاط الصور، أو تشغيل الفيديو، والهاتف النقال للاستفادة من خدمات الانترنت، للتعرف على المسالك والدروب، والأماكن والمواقع الخاصّة، بالاتصال مباشرة بالأقمار الصناعية، فيمكنه بكل تلك الوسائل أن ينجز أشرطة فيديو، وأفلاماً وثائقية، وصوراً، وخرائط، وتسجيلات، تصلح مادّة لوسائل الإعلام المختلفة، وحتى في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة. لقد غيرت هذه الوسائل أدب الرحلة تغييراً لا حدود له، وجعلته شكلاً جديداً مغايراً تماماً، عما ألفناه قديماً، ولكنّه يتنفس هواء العصر، ويحيا بروحه، (فكان من حقوق أبناء هذا الجيل علينا أن يعرفوها، ولو عن طريق الوصف والصورة، وإنك لتعجب كيف أن بعض الرحالة الأجانب، الذين رحلوا إلى جزيرة العرب مطلع هذا القرن، فاكتشفوا صحراءها، وجاسوا

خلالها، يعرفونها أكثر من معرفة أهلها بها)<sup>1</sup>، ومن هنا يمكن اعتبار أن للصورة دورا كبيرا وعظيما في نقل المشاهد، بطريقة واضحة، ولباس جديد، فالمشاهد هنا حيّة، وأكثر شفافية، فقد كانت الصحراء مجهولة لدى العديد من الناس، ولكن، وبمجرد رؤية صورة لها، تتوضح حقيقتها في ذهن القارئ أو المشاهد...

كثيرا ما يرجع الرحال إلى التصوير كوسيلة لنقل المشاهد والأماكن المختلفة، فيستبدل فعل الكتابة والكلام المسترسل في ذكر أدق التفاصيل، بعرض صورة، لأنها تنقل المكان بتفاصيله إلى ذهن القارئ المشاهد، (ثم إنني أحرص كل الحرص على أن أصور هذا المعلم، من جهات مختلفة، ليتضح لناظر، ويتمثل للقارئ على الحقيقة، ومن المعلوم أن الخبر ليس كالمعاينة)<sup>2</sup>، يعتمد الرحال في النقاطه الصورة على تقنيات مختلفة لرصد المكان باحترافية، فيلتقط صورا من كل الجهات، ليتم بكل تفاصيل المكان، دون ذكر الأحداث، حتى تصل للقارئ كاملة.

إن هذا اللون الجديد من الأدب، هو أدب بروح جديدة، منبعا التكنولوجيا التي جعلت العالم قرية صغيرة بوسائل مختلفة. وكثيرا ما تكون الصورة تتحدث عن نفسها بنفسها، دون أن يشقى ملتقطها أو يعاني في نقل تفاصيلها إلى القارئ عن طريق اللغة. فقد تنقل اللغة ما

---

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار، رحلات ومشاهدات في جزيرة العرب، المملكة السعودية، الرياض، 1437،

ص: 4.

<sup>2</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار، ص: 5.

لا ينطبق أصلا على الواقع، فتتجاوزه، أو لا تعطيه حقه، والحديث عن الأمور المجردة - خاصة - أمر صعب يستدعي وضوح الفكرة ببراهين مرئية.

تعد اللغة من العوامل الأساسية لقيام أدب الرحلة، لأنها جاءت وسيلة للتعبير عن الشعوب، فتفاعلت الألفاظ مع المعاني لإيصال الحقائق، والمشاهد التي ترافق الرحالة خلال رحلته، فينطلق من خلالها القارئ، ليستقي مختلف الحقائق التي عبر عنها الرحالة بواسطة اللغة، وبمصطلحاتها المختلفة، فالبدايات الأولى للرحلة القديمة اتخذت من اللغة وسيلة لرسم الصورة في ذهن القارئ، (وتُحوّلُ قنوات الواقع والذهن إلى لغة تخيلية، تستحضر ما ارتبط بالحنين والتذكر، بتقديم صور، ينقلها الراوي في ذهنه، كما عاشها أو تخيلها، إلى اللغة من مبدأ الواقعي والمتخيل)<sup>1</sup>، يرسم الرحال المشاهد التي تقع على بصره، بفعل الكتابة القائمة على اللغة المعبرة عنها، بطريقة وصفية فنية معبرة بشكل دقيق، عكس ما يحدث في الرحلة الحديثة، فحلت الصورة بديلا للغة، وأخذت وسائل أخرى مستحدثة تستحوذ بدورها على اللغة، التي كانت منبع وصف وسرد المكان أو الحدث، واستثمرها الرحال في رحلته، ولم يعد بحاجة إلى اللغة؛ لأن الصورة قنلتها، ولأن الصورة تحتوي في ذاتها على عنصر التجسيد، فتنقل فعل الإدراك إلى العين. كانت اللغة قديما تتلبس الحقيقة، أما اليوم فالصورة حقيقة مرئية.

<sup>1</sup> - شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل) ص: 12.

## 1... صورة

ديار وادي 64

من الموارد التابعة لبلدة لوقة فيضة الركعاء ويقال الركعاء وهي تقع غرب لوقة بما يقارب 30 كم وقد عدت آبارها بنفسها فكانت مائتي بئر سوى المندفن منها.  
إحداثيتها : ( N 29 43 964 )  
( E 042 33 709 )



يكتفي الرحال في بعض الرحلات بالنقاط صورة، وعنوانتها بطريقة مختصرة، فالصورة تعبر عن ذاتها،(خفيفا ساكون، لأروي حكاية سمعتها هناك، تحت خريف الوضوء، من

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار، ص: 64.

شيخ مسنّ، أستدرجه اهتماما بالمسافة وحكاياتها القديمة، أثناء انتظاره قرب المسجد، لرفاق الرحلة الذين ذهبوا بعيدا أسفل الوادي وأعلاه، لالتقاط الصورة<sup>(1)</sup>.

يحرص الرحال على تصوير كل الأماكن والمعالم التي يزورها، فألته في الرحلة هي قلمه، فبدلا من الكتابة والسرد والوصف، يكتفي بتسجيل المكان في صورة حية، ولكن، ومن جانب آخر، فالصورة تقتل ذات المؤلف، بعكس ما كان عليه الأمر في القديم.

يمكن اعتبار توظيف الصورة في الرحلة "لوحة إخبارية"، يقدم به الرحال تقريرا للمواقع التي يزورها، إذ هي لقطات إخبارية للمكان؛ يذكر فيها ما يمثله المكان، وما تشمله الصورة فقط، لا يمكنه الإشارة إلى الأحداث. أصبحت الرحلة تبدأ بتاريخ معين، يستمر حتى النهاية، لهذا تعتبر مصدرا تاريخيا، يعتمد على الأحداث لا الصور، ( فإن استغلال الصورة داخل البناء امر الرحالي وكيفية تمثيلها لرؤى والمسموعات والمتخيلات، والراوي والآخر المتمثل للغيرية باشكالها كما رسمتها أقلام الرحالة العرب)<sup>(2)</sup>، وعادة ما يسعى الرحال إلى تجسيد الأحداث والوقائع، من خلال صورة خيالية لذلك الواقع، بأسلوب لغوي معبر ودقيق، بهدف نقل أحداث مكان معين، أما الصورة فهي تلك النسخة الموافقة للموقع، أو تلك البؤرة الممثلة لمشهد حي، فالرحال قديما يغري القارئ بقلمه، أما الرحال اليوم فيغري قارئه من خلال لوحات إخبارية عالمية، أكثر دقة وتماشيا مع العصر، لارتباطها بالتكنولوجيا، والتي هي

---

<sup>1</sup> - محمد الحارثي: رسوم بدور بنت عبد الله الريامي، عين وجناح رحلات في الجزر العذراء، زنجبار، تايلانبات قسام

والربع الخالي، عدد 133، 2 أيلول، ص: 24.

<sup>2</sup> - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، ص: 12.



أسرع تبليغا، باعتبارها آنية وفورية، أما القديمة فتتطلب زمنا طويلا المدى، فالصورة تعادل صفحات طويلة من السرد والتقرير: (فأختصر المطول، وأوضح المبهم، وأختار مما اختلفت في تحديده، وتباينت الأقوال في تعيينه)<sup>(1)</sup>. لقد انصرف الرحال اليوم عما اعتاد عليه قديما، وهو الإطالة في نقل المشاهد، دون أن يختار لنا المشاهد التي تعترض طريقه، فهو يحرص كلَّ الحرص على نقلها بكل أمانة وتفصيل؛ أصبح يختصر الكلام ويوجزه.

### 3\_1 - الوصف والصورة:

ترتبط الصورة والوصف ارتباطا وثيقا، بسبب تأثر كل منهما بالآخر، وبسبب ما يميلان عليه في النص الرحالي، (وهذه الرصانة تؤثر سلبا على الحكي، الذي يتقلص كثيرا لصالح الوصف، بحيث نجد أنفسنا أمام حكي محجوز، ووصف شبه تقني للمعطيات البصرية التي تلتقطها العين، والأمر الذي يجعل من هذه الرحلة ذات استراتيجية خطابية محكمة، أو شبه تقرير)<sup>(2)</sup>، وإن التقت الصورة مع الوصف، فلا شك أن الوصف سيكون مختصرا، أو مطابقا للصورة، فلا يعقل أن يقدم الرحال وصفا، بينما دلالة الصورة في مجرى آخر بعيد، فيحدث تنافر وتباعد، ويختل الانسجام، لذلك يتقلص الوصف وتحل محله الصورة.

(في هذا المكان هضبة حمراء اللون، وبجوارها، من جهة الجنوب، صخور لاطئة في الأرض، يشبه لونها لون الطحال، وطرفها الشرقي تنوعات بارزة، لعل العرب شبهوها

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار، ص: 5.

<sup>2</sup> - فريد ابراهيمي: الممانعة والفتنة الجسد، الذات والصورة، المتخيل الرحلة الفرنة المغربية إلى أوروبا، ص: 173.

بالثدي، فأسموها الأثدياء وهي واقعة على خط العرض 212819، وخط الطول 40.38.40<sup>(1)</sup>. نجد الرحال هنا يصف لنا الأثدياء، هذا المكان الذي وقف عنده بوصف دقيق، كاللون والجهة، ويوقع عليه تشبيها، لكن الجديد هنا في الرحلة الحديثة هو أنه حدّد خطّي العرض والطول تحديدا رياضيا دقيقا، لتحديد الموقع، مما يدل على أن الرحال شديد الاهتمام بالموقع، أكثر من الحدث نفسه، وكذا اتصاف الأدب بالحقائق العلمية الدقيقة، أي ربط الأدب بالعلم و تطوره، خلافا لما كان عليه الرحال قديما، إذ يعتمد في أغلب الأحيان على الملاحظة الحسية النسبية، كذكر المسافات بالتقريب.

#### 4-1- التاريخ:

تؤرخ الرحلة القديمة للأحداث بتسلسلها الزمني، مما سمح لها أن تكون وثيقة تاريخية، أي مرجعا تاريخيا يرجع إليه القارئ أو الباحث، فذكُر التواريخ في الرحلة يسمح بمعرفة زمن الأحداث، حيث (أضحت حاليا محط اهتمام خاص من المؤرخ، بما تحويه من معطيات، من شأنها أن تسدي الضحالة الملحوضة بالمصادر الإدارية من كتب التاريخ والحواليات...)<sup>(2)</sup>، فالرحال قديما يدمج في رحلته بعدها التاريخي، ويولي العناية البالغة لذكر التواريخ، مما يمهد لاستنباط البعد الزمني، كمرجع إضافي، أما في الحديث، فيمكن أن نجد الرحلة مؤرّخة لزمان، لكن ليس زمن رحلة الرحال، بل لزمان يعود لمعلم زاره، أو وقف عنده،

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح سهلي، آثار وديار، ص: 13.

<sup>2</sup> - مصطفى نشاط محمد إستيتو: كنانيش الديمغرافيا التاريخية في آداب الرحلة، مجلة متخصص في الديمغرافية

التاريخية، العدد 3، صيف، خريف، ص: 5.

وعاد إلى الزمن الماضي الغابر، ليستقي من جديد أحداث ذلك المشهد: (وقد جرى بقرب زرود في العهد الجاهلي، معارك منها: يوم من أيام العرب، يضاف إليها، فيقال يوم زرود)<sup>(1)</sup>.

نلاحظ في هذا المثال، أنه لا يسرد حدثاً تاريخياً لواقعة آنية، حدثت في زمن الرحلة، أو من خلالها، وإنما يستمد حدثاً ماضياً ليطلق عليه مادته الحكائية، ويثري به نصه الرحالي، فالرحال الحديث مولع بتضمين شتى المعلومات التي تخدم نصه، كوسيلة تدعيمية وتثقيفية.

## 1 - 5 - توظيف اللغات الأجنبية وأمّهات الكتب في النص الرحالي الحديث:

لا يختلف الباحثون والدارسون في أن النص الرحالي ثري بالمعارف المختلفة، وأنه أدب موسوعي منذ النشأة، إذ يعمد الرحال على دمج مختلف الأجناس الأدبية، مما أعلّى شأنه وقيّمته الفنية والأدبية، وأصبح النص الرحالي الحديث أكثر عصرنة؛ شكلاً ومضموناً، إذ طوّره، وسار به نحو الأفضل: (أدهشتها غرابة الاسم، فقالت على الطريقة الأمريكية: **what's that**، ولم تقل: **where that Conty?**، مبنية عن جهل مطبق بشاعة هذا العالم "ماذا" "أين")<sup>(2)</sup>. تطور النص الرحالي هو تطور للغة؛ فاللغة كذلك قابلة للتجديد والتغيير بفعل الزمن والتكنولوجيا، مما ينعكس على الآداب والعلوم المختلفة، في تغيير مسارها

<sup>1</sup> - عبد الله صالح السهلي: آثار وديار، ص: 43.

<sup>2</sup> - محمد الحارثي: رسوم ينت عبد الله الريامي، عين وجناح رحلات في الجزر العذراء، زنجبار، تايلاند قسام والرربع

الخالي، عدد 133، 2 أيلول، ص: 7.

اللغوي، من مصطلحات لغوية جديدة يوضحها في نصه الرحالي، وكذا اللغات الأجنبية كالانجليزية التي أضحت لغة العالم.

إلى جانب اللغة، نجد أن الرحال قد استعان بأمهات الكتب بشكل كبير، واستلهم معلوماته منها فالرحال اليوم، أصبح سفره سهلا وسريعا، مما سمح له باصطحاب الكتب، او تحميلها في هاتفه النقال، أو استخدام المكتبات الالكترونية، بفضل ما وفرته التكنولوجيا من تسهيلات وراحة، خلافا لما كانت عليه الرحال قديما، إذ كان الرحال يشقى ويعاني من مشاكل وصعوبات جمّة خلال سفره الطويل، وهذا لا يسمح له باقتناء الكتب في رحلته، سواء بسبب وسيلة النقل، أو بسبب الوقت الطويل الذي يستغرقه في الترحال، من مكان إلى آخر، كما أن الحاجة الملحة للراحة أثناء الرحلة لا تسمح له بالمطالعة، أو البحث في الكتب لدعم معارفه. في المقابل، ينعم الرحال الحديث بالراحة التامة، ويتوفّر على وسائل وشروط المطالعة والبحث لتوثيق معلوماته، قال ياقوت في معجم البلدان: (بولان بفتح أوله :قاع بولان منسوب إلى بولان بن عمر بن الغوث بن طيئ. اسم غصن، ولعله فعلاّن من البول، وهذا الموضع قريب من النجاج في طريق الحاج من البصرة)<sup>(1)</sup>، لقد عاد الرحال هنا إلى معجم البلدان لياقوت الحموي، ليثري رصيده الثقافي، ويضيف لنصه طابعا أدبيا، مما يدل على صلة الرحال، وتمسكه بالتراث العربي القديم.

---

<sup>1</sup> - عبد الله الصالح السهيلي، آثار وديار، ص: 7.

إضافة إلى المعاجم، يعود الرحال إلى الكتب القديمة الأخرى، التي تناولت حياة العرب ومآثرهم، وعاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم، فهذا أمر يدل على سعة ثقافة الرحال ومدى تطلعه على خزينة التراث

(10- معجم ما استعجم الكبرى.

11- معجم معالم الحجاز لعنائق البلاد.

12- العقد الفريد لابن عبد ربه.

13- عكاظ الأثر المعروف سماء المجهول مكانا لعبد الله الشائع.

14- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام لسعيد الأفغاني.

15 - سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام ناصر الرشيد.

16 - سوق عكاظ في التاريخ والأدب إعداد لجنة الآثار التاريخية في الطائف<sup>(1)</sup>.

يدل هذا التهميش الذي يحتوي أكثر من 16 كتاب استخدمه في رحلة آثار وديار وذلك لتوثيق معلم زاره ، فهو دليل قاطع أن الرحالة في العصر الحديث تستقي معلوماتها من مصادر مختلفة إضافة إلى التجربة الذاتية التي رافقته في رحلته.

## 6-1- الرحلة والسيرة:

وأدب الرحلة نوع من السيرة الذاتية، بما يورده الرحالة من معلومات تخص حياته، وهي سجل حقيقيّ لحياته، إذ يكتبها الرحال بنفسه، عن نفسه وعن الأحداث والوقائع التي عايشها في رحلته، مثلما فعل ابن جبير، (ويختلط هذ اللون من القص بما نعهده من المذكرات

<sup>1</sup> - عبد الله الصالح السهيلي، آثار وديار ، ص: 14.

واليوميات، وما نعهده من أدب السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية، بصرف النظر عن نوع المعلومة أو الرحلة. أعنى أننا نهتم بصياغاتها الفنية كنوع أدبي يتميز بخصائص فنية أدبي يتميز بخصائص فنية لا بد أن نجدها متوفرة فيه لنطلق عليه المصطلح الخاص به<sup>(1)</sup>. كانت السيرة الذاتية مرتبطة بالرحلة، لما لها من حضور قوي ومتزامن، من بداية الرحلة إلى نهايتها، فتتداخل الرحلة مع السيرة في أدب الرحلة في القديم، فنجد الرحال يدون الأحداث التي قام بها في يومه بدقة كاملة، ويربط دائما ذاته بالوقائع والأحداث، وهذا ما لا نجده في كثير من الحالات الحديثة، حيث يركز الرحال على الموقع دون الذات الرحالية، لأنه يوثق أكثر مما يؤرخ للأحداث، (ولعل الناظر في هذا الكتاب يعرف أنني لم آت بجديد، بل اقتنيت آثار مشايخي، وجريت على مناهجهم، ووطء مواقع أقدامهم، أقتبس من نورهم، وأجتني من ثمارهم)<sup>(2)</sup>. وهنا يعترف الرحال بأنه لم يأت بجديد، وأنه قدم الأماكن والمشاهد على طريقة الأولين، وأنه لم يخرج عما ألفنا سماعه، وهذا يدل على غياب ذاتية الرحال، لكونه ينقل - فقط - ويوثق الأحداث والوقائع.

(ويتعلق الأمر بتدوين كتابة مدونة و"وصف للنص" المتأججة" بشكل ملفت للانتباه" نتحدث فيها شخصية الرحال بالمؤلف الراوي وهو ما يشجع على تأكيد بيان السير الذاتية هي رحلات حياتية وفكرية في الوجود المادي والروحي مثلما هي الرحلات في العمق، سير

---

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد القادر المازني: أدب الرحلة، رحلة الشام، للمزني، نموذجاً، ط 1، دار القديم للصحافة والنشر، القاهرة،

1994، ص: 8 - 9.

<sup>2</sup> - عبد الله بن صالح الذهبي: آثار وديار الرحلات ومشاهدات في جزيرة العرب السعودية، ص: 4.

ذاتية محدودة خصوصا النصوص الحجازية ورحلات<sup>(1)</sup>. ما لا ينكره الدارسون والباحثون في المجال الأدبي أن السيرة الذاتية، كانت في القديم جزءا من النص الرحالي، فشكلا مُكوّنين مُتداخِلين فيما بينهما، يتشاركان في الخصائص الأدبية والفنية، فإذا كان النص الرحالي القديم تدوينا لوقائع ومشاهد حدثت مع الرجال، فهي كذلك سيرة ذاتية من ناحية أخرى، لكنّ ما يختلف فيه الرّجال الآن عمّا كان عليه سابقا، هو أنه أصبح يمثل الاتجاه المعاكس لما كان عليه، أي، أصبحت الذات الرحالية في غالب الأحيان متخفية، إذ أصبحت الرحلة بمثابة استطلاع للكشف عن الأماكن، وما اشتهر منها، كما هو الحال في كتاب آثار وديار: (دعمت أضلاع البركة من الداخل بأكتاف نصف دائري، بينما الفاصل لا جداري الذي يقع بين البركة والمصفاة له أكتاف من الجانبين (البركة من اليمين والمصفاة من اليسار) والمصفاة تستقبل مياه السيول قبل دخولها إلى البركة الكبيرة)<sup>(2)</sup>. يظهر جليا أن الرجال لا يربط الأماكن والأصوات بالذات الساردة، إذ يولي أهمية أكبر للموقع، ويفصله عن نفسه، ويكتفي بالسرد عن المكان، دون تدخل مطول له مع المكان أو الموقع.

### 1-8- الشعر في الرحلة الحديثة:

- الشعر:

كان ولا يزال الشعر ديوان العرب قديما وحديثا ولا يزال الاهتمام به بالغ الشأن، شأنه في ذلك شأن الشعر في الآداب الأخرى، فالرجال لم يستغن عن الشعر كمكون أساسي

<sup>1</sup> - شعيب خليفي: الرحلة في الأدب العربي، ص: 50.

<sup>2</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار رحلات ومشاهدات في جزيرة العرب السعودية، الرياض ص: 58.

في النص الرحالي الحديث، بل استثمره باعتباره عمدة ثقافية وأدبية في نصه «وقال شاعر رشيدي من بني رشيد يخاطب ابن حمد من شيوخ بن رشيد:

يابن حمد ما شفت لي مرادي لطف الحشا راعي النهود المزايير

عديت رأس النايفة من بلادي وشفت الظغان يوم وقفت وراء (كير)<sup>(1)</sup>.

لقد استلهم الرحال من أقوال الشعراء وكتاباتهم الشيء الكثير عن بعض المناطق، فوصفها في نصه لدعم معلوماته وتوثيقها، وكثير ما لجأ إلى الشعر، كما فعل الرحالة القدامى، فهو عنصر مهم في الخطاب الرحالي.

### الترتيب الزمني والمكاني في أدب الرحلة قديماً وحديثاً:

#### أ- الزمن:

ينبني النص الرحالي على عنصرين مهمين هما الزمان والمكان، وبما أن الرحلة هي مجموعة أحداث ووقائع ومشاهد خاضها الرحال في رحلته، فلا بد أن تقع في زمن أو مكان معين (الترتيب الزمني يحدد فيه الرحال بداية الرحلة ونهايتها وقد يقسم وصلته إلى وحدات زمنية معتمدة على اليوم أو الأسبوع أو الشهر وفي هذا الايطار إمّا أن يعنون الفصل بالزمن أو يذيله به، وقد يتلاعب الرحال في التقديم والتأخير)<sup>(2)</sup>. حينما يحرر الرحال نصه الرحالي يدلي فيه بالزمن لكن بطرق مختلفة، ونجده يذكر التاريخ مضبوطاً باليوم والشهر والسنة، في الصباح أو المساء، مثلما وجدناه في رحلة ابن جبير: (وشهدنا له

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح السهلي: آثار وديار رحلات ومشاهدات في جزيرة العرب السعودية، الرياض، ص: 97.

<sup>2</sup> - زردومني: فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، أطروحة دكتوراه في العرب القديم، قيم اللّغة العربية وآدابها، باتنة،



مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور<sup>(1)</sup>. يهتم الرحال بالتواريخ خلال سرده؛ أي يربط كل حدث بفترة زمنية متعلقة به، أما في الحديث، فيمكن أن نجد عكس ذلك، فمثلا في رحلة آثار وديار، كان عنصر الزمن غائبا في الوظيفة السردية، وهذا يعود إلى اهتمام الرحال، هنا، بالموقع أكثر من الزمن، ونجده عند نهاية الرحلة يوضح لنا قائمة التواريخ)

جبل	كانت رحلتي إلى جبل الريان يوم الأحد، الموافق 4-15-1425هـ
الريّان	N27-45-409-E أحداث الموقع: 041 -27-185

(<sup>2</sup>).

اختلفت كما نلاحظ طريقة تحديد الزمن في النص الرحالي، بين القديم والحديث، وهذا ما يدل على أن الرحلة في القديم كانت تؤرخ للأحداث، أما حديثا فهي توثقها.

#### ب- المكان:

يلعب المكان دورا مهما في النص الرحالي فهو الجسر الذي يعبر من خلاله الرحال فلا رحلة من دون مكان يذكر لذلك عمد الرحال منذ القديم إلى ذكر ووصف المسالك والمعالم والمساجد، وذكر البلدان المختلفة التي وطأها قدماءه، فنجده يذكر أسماء المدن حسبما شاهده أثناء زيارته في الرحلة (الترصد المكاني وفيه يتبع الرحال التسلسل المكاني الذي يقطع خطه سير الرحلة أولا بأول، وهو ما يسمى عند القدامى بمراحل الطريق إلا أن

<sup>1</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 196.

<sup>2</sup> - عبد الله صالح السهلي: آثار وديار، ص: 197.

هناك أماكن ذات أهمية قصوى وأخرى أقل منها، وهو في تكاملية مع المكان يصفه وصفا ذاتيا، قد يدعم مشاهداته بأوصاف سابقة من الرحالين، أو المتورطين أو الأدباء<sup>(1)</sup>.  
اختلف ذكر المكان عند الرحالين فهناك من أقبل على ذكر المكان بشكل متسلسل مع رحلته كابن جبير (وكانت مرحلتنا الأولى منهما إلى حصن القبذاق ثم منه إلى حصن قرّة ثم إلى المدينة استجة ثم منها إلى حض أسونة ثم منه إلى شكبر)<sup>(2)</sup>. لقد حرص ابن جبير على تدوين المكان، حسب زيارته الموافقة لكل حدث، أما في رحلة آثار وديار، فعند قراءتنا للرحلة لا نلمس الحس الانتقالي فيها، فقد قسم نصه إلى فقرات، على شكل مقالات، وتعريف خاصة بالمكان، وأقوال، وشروحات خاصة بها، (ويقال لها قلب الطعمية، ذلك لقربها منها، والطعمية قصور ومزارع تقع إلى جهة الجنوب منه يزيد إلى بعد 12 كيل على الضفة الجنوبية من واد الرصة...)<sup>(3)</sup>. قد يستعين الرحال الآن في رحلته إلى مقولات أو تعاريف الأولين ووصفهم للمكان وبدونه كمعلومة إضافية للمكان فيكتفي بذكرها وعدها اما في المعاجم أو الشعر وغيرها.

---

<sup>1</sup> - إسماعيل زردومي: فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، ص: 26.

<sup>2</sup> - ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص: 7، 8.

<sup>3</sup> - عبد الله صالح السهلي: آثار وديار، ص: 19.

الذاتمة

في ختام هذا البحث نقدم مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، وهي كالاتي:

- يمثل أدب الرحلة وجهين مختلفين: رحلة قديمة ورحلة حديثة، فهو أدب كباقي الآداب له نشأة وتطور وتبلور خاضع للزّمان وتأثيراته، نوع أدبيّ قديم. وتعود أسباب الرحلة إلى ظروف حياتية يعيشها الرحال، تدفعه للارتحال؛ طوعا، كحبه للاستكشاف، ورغبة منه في عيش المغامرة، وتحدي الصعاب، أو كرها، كتعرضه للنفي والتّرحيل قديما أو حديثا، وإنّ كثر الترحال في زماننا هذا، بسبب ما يشهده العالم من تطوّر واضطرابات.

- الرحلة هي انتقال في الزمان والمكان، حيث يقوم الرحال بنقل كل ما رآه، واصفا الأمكنة وعادات الشعوب والمواقف التي تعرض لها، مما يمكن اعتباره وثيقة تاريخية وجغرافية، ومصدرا سيالا لمعلوماتٍ تصلح لكل عصر.

- تنوع الرحلات هو دليل على النشاط الدائم للعرب في كل المجالات، ويحدث هذا بتنوع الغايات، فكلما كثرت هذه الأخيرة ازداد النّشاط في هذا المجال.

- أدب الرحلة هو ملتقى للأجناس الأدبية المختلفة، من شعر ونثر وأقوال وحكم وعبر وسير ذاتية، ويتضمّن حتّى القرآن والحديث الشّريف، كل هذا يدل على الثروة المعرفية التي يزخر بها هذا الأدب، لكونها كلها تتبثق من النص الرّحالي.

- تنوع النص الرّحاليّ، وتضمّن أساليب مختلفة؛ من سرد قصصي إلى وصف وحوار وقرآن وحديث.

- أدب الرحلة أدب موسوعيّ، ولكنّ بالرغم من اتساع دائرة هذا الأدب، وتشابكه مع كل العلوم المختلفة من جغرافيا وغيرها، إلا أنّ النقاد والدارسين أكدوا على الصلّة الوثيقة بين الرحلة والأدب؛ فالنصّ الرّحاليّ يبقى دائما منصهرا في حقل الأدب.

- الرحلة العربية لم تستقرّ على حالها، وإنما تغير مسارها، ولم تعد كما كانت عليه قديما، فالأدب يتأثر ويتطور ويتغير مع مرور الزمن، فلا شيء يبقى على حاله، وإذا كانت اللغة تموت وتتغير مع العصر، فإنّ الأدب بطبيعة الحال يتأثر ويتحول، فالرحلة الحديثة اليوم أصبحت ترتدي لباسا جديدا بموضوعاتها وأهدافها المختلفة.

- تستقي الرحلة الحديثة تقنياتها من التكنولوجيا، فأصبحت تنزّين بالصورة، وبما تقدّمه وسائل الإعلام، مشكّلة لنا نصّا رحاليّا جديدا، مختلفا عمّا كان عليه قديما، وإن كان لفظ (رحلة) التي تجسدت في نصّ الرّحلة الحديث، إنما هي اليوم امتداد للرحلة القديمة.

- أصبحت الصورة تختصر لنا رحلة طويلة وصفحات عديدة، فالיום يمكننا أن نشاهد الرحلة بتفاصيلها رفقة الرّحّال، ونحن في منازلنا، عن طريق الهاتف مثلا، أو الفيديو أو الشريط الوثائقي أو اللوحة الإشهارية لموقع ما.

- تغيرت أهداف الرحلة الحديثة، فإذا كان الرحالة قديما رجل دين كما في الرحلات الحجازية لأداء مناسك الحج، فاليوم أصبحت تعكس لنا صور مخالفة لما كانت عليه.

- لم يعد الحوار وتوظيف القرآن والحديث اليوم كحاله، فالرحال ليس رجل دين فقط، وإنما مواطن مجروح ومهموم ومنفي عن وطنه، فهذا العنصر قد قلّ وتراجع، لأن الصورة ووسائل الإعلام أصبحت الأنيس والرفيق أثناء الرحلة.

- نجد السرد القصصي حاضرا، ولكن بشكل مختصر، لأنه يوثق ولا يؤرخ كما في الماضي، مستعينا بالوصف، ولكن لاحظنا أنه قلّ إذ حلّت الصورة محلّه، وهذه الأخيرة تقتل اللغة، فقديمًا كانت اللّغة سلاح الرّجال يفجر فيها طاقته الكتابية، واليوم أصبحت الآلة هي اللواء الجديد.

## قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

- 1) ابن جبیر رحلة ابن جبیر، دار صادر، بیروت.
- 2) ابن منظور جمال الدین: لسان العرب، ج 3، دار ها در، بیروت، 1994م.
- 3) أبو الحسن بن فارس بن زکریاء: معجم مقاییس اللغة، (مادة رحل)، تحقیق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر، ط 2، سوريا، 1979.
- 4) بطرس البستاني: محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بیروت، 1987.
- 5) عبد الله بن صالح السهلی: آثار وديار، رحلات ومشاهدات في جزيرة العرب، المملكة السعودية، الرياض، 1437.
- 6) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004/1425.
- 7) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، متون الحديث الشريف، دار الكتب العلمية، د ط، ج 17، بیروت، 1992.

المراجع:

- 1) إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، د ط، مصر، 1954.



(2) إبراهيم شوكة: الجغرافيا العربية حتى نهاية القرن العاشر ميلادي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990.

(3) إبراهيم عبد القادر المازني: أدب الرحلة، رحلة الشام، للمازني نموذجاً، ط 1، دار القديم للصحافة والنشر، القاهرة، 1994.

(4) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، جزء 1، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط 2، بيروت، 2000.

(5) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، جزء 1، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ط 2، بيروت، 2000.

(6) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والعلوم والآداب، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

(7) أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1986.

(8) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة.

(9) أحمد كمال: ترجمة حازم سعيد منتصر، المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين.

(10) بطرس البستاني: دائرة المعارف، مجلد 8، مطبعة المعارف، د ط، بيروت.

(11) حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

- (12) حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط 3، 1403هـ / 1983م.
- (13) حسين نصار: أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 1، نونجمان، مصر، 1991.
- (14) الحسين الشاهدي: أدب الرحلة في العصر المريني، جزء 1، منشورات عكاظ، ط 2، المغرب، 2002.
- (15) خالد التوزاني: الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط 1، أبو ظبي، بيروت، لبنان، 2017.
- (16) زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981.
- (17) سميرة انساعد: كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، د ط، الجزائر، 2009.
- (18) سيد حامد السناج: مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب للطباعة، القاهرة.
- (19) شعيب خليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آلية الكتابة، خطاب المتخيل)، مكتبة الأدب المغربي، كتابات نقدية، شهرية 121، أبريل 2002.
- (20) صلاح الدين علي الشامي: الرحلة عين الجغرافيا البصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، د ط، الإسكندرية، 1999.

- (21) صلاح الدين عثمان هاشم: الأدب الجغرافي، نقله إلى اللغة العربية، علي أحمد الجرحاوي، الرحلة اليابانية، ط1، جريدة الثوري بالفجالة، مصر، 1325م.
- (22) عبد العليم محمد إسماعيل علي: تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، الدورة الثامنة، 2018.
- (23) عمر بن عبد العزيز السيف: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، المركز الإسلامي الثقافي، ط 1، بيروت، لبنان، 2009.
- (24) عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1999.
- (25) عيسى بخيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث - سياق النص والخطاب الأنساق-، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2015/2016.
- (26) علي مفتاح راشد الهندي، أدب الرحلات، ابن جبير الرحالة الأديب، جامعة الزاوية، ليبيا.
- (27) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط 1، القاهرة، يوليو 2002.
- (28) محمد إدريس الشافعي: رحلة الشافي، المطبعة السلفية، د ط، القاهرة، 1350.
- (29) مخلوفي عبد السلام: دور السياحة في التنمية المحلية، الملتقى الدولي حول واقع ومستقبل الصناعات التقليدية في الجزائر، دار الثقافة، بشار، 2003.
- (30) المسعودي أبو الحسن على بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزء 1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط، الجزائر، 1989.

(31) ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط 1، دار النشر لجامعة المصرية مكتبة الوفاء، 1995.

(32) نهلة الشفران: خطاب أدب الرحلات من القرن الرابع هجري، ط 1، 2015.

(33) نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط 1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمّان، 2008.

### المجلات:

(1) أحمد عبد الرزاق خليل: جماليات المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي، الجامعة العراقية كلية الآداب، مجلة الأدب، ع 1.

(2) سعيد علوش: الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية، الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية، ضمن مجلة "الثقافة الأجنبية"، (محور أدب الرحلة)، بغداد، العراق، السنة 9، العدد 3، 1989.

(3) فريد الزاهي: الممانعة والفن الجسدي والذات متخيل الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا، الكوف، مجلة فصلية محكمة، العدد 2 ربيع 2013، السنة 2.

(4) محمد الحارثي: رسوم بدور بنت عبد الله الريامي، عين وجناح، رحلات في الجزر العذراء، زنجبار، تايلانبات قسام والربع الخالي، عدد 133، 2 أيلول.

(5) مصطفى نشاط محمد إستيتو: كنانيش الديمغرافيا التاريخية في آداب الرحلة، مجلة متخصصة في الديمغرافية التاريخية، العدد 3.

6) ناصر محمد الزمل: افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراق في الجزيرة العربية، مجلة الفكر الثقافية، عدد 12، أغسطس، أكتوبر، 2015.

#### الرسائل:

1) اسماعيل زردومي: فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الله العشي، جامعة باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005، 2006.

2) منصور نعيمة: جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة دراسة تحليل تطبيقية، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السانوية، 2010 / 2011م.

#### الموقع:

1) الكوزموجرافيا <https://ar.wikipedia.org>

فہرس

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ - هـ
<b>الفصل الأول</b>	
<b>المصطلح</b>	7 - 32
1-1- المدلول اللغوي للفظـة "الرحلة"	7 - 11
1-2- المدلول الإصطلاحـي للفظـة "الرحلة"	11 - 13
1-3- أدب الرحلة عند العرب والغرب	13 - 26
1-3-1- الرحلة عند العرب	26 - 30
1-3-2- الرحلة عند الغرب	30 - 32
<b>أنواع الرحلات</b>	33 - 44
2-1- الرحلات الدينية	36 - 44
2-2- الرحلات العلمية	37 - 39
2-3- الرحلات التجارية	40 - 41
2-4- الرحلة السياحية	41 - 42
2-5- الرحلات الرسمية	42 - 44
<b>خصائص أدب الرحلة</b>	45 - 84
3-1- الخصائص المميزة للمضمون	49 - 64
3-2- الخصائص المميزة للشكل	64 - 76
<b>الفصل الثاني</b>	
<b>أدب الرحلة بين القديم والحديث</b>	78
1-1- أدب الرحلة في القديم (ابن جبـير)	78 -
1-1-1- السرد القصصي	78 - 87

96 - 87	1-1-2 - الوصف
100 - 96	1-1-3 - الحوار
103 - 100	1-1-4 - مركزية القران الكريم والحديث والشعر
109 - 104	1-1-4-1 - القران والحديث
	1-1-4-2 - الشعر
127 - 110	<b>ادب الرحلة في الحديث (اثار وديار)</b>
113 - 110	1-1 - تطور وسائل النقل وكذا عتاد السفر ولوازمه
118 - 113	1-2 - استعمال الة التصوير ووسائل الاعلام لنقل المشاهد في الرحلة الحديثة
119 - 118	1-3 - الوصف والصورة
120 - 119	1-4 - التأريخ في الرحلة الحديثة
122 - 120	1-5 - توظيف اللغات الاجنبية وامهات الكتب في النص
124 - 122	1-6 - الرحلة و السيرة في الرحلة الحديثة
125-124	1-7 - الشعر في الرحلة الحديثة
127 - 125	& - 8 - الترتيب الزمني والمكاني في أدب الرحلة قديما وحديثا
131 - 129	<b>خاتمة</b>
138 - 133	<b>المصادر والمراجع</b>
141 - 140	<b>الفهرس</b>



## ملخص البحث

تروم هذه الورقة النقدية للكشف عن مظاهر أدب الرحلة بين رحلة "ابن جبير" ورحلة "أثار وديار" و التي تطرقنا من خلالها للبحث في الفصل الأول عن الرحلة عند العرب والغرب ، و الي أنواع الرحلات و خصائصها شكلا كان او مضمونا.

أما في الفصل الثاني تطرقنا إلي أدب الرحلة بين القديم رحلة "ابن جبير" لجأنا فيه إلي السرد القصصي، والوصف، الحوار و مركزية الشعر والقران الكريم و الحديث. و بين الحديث في رحلة "أثار وديار" حددنا فيها تطور وسائل النقل، واستعمال وسائل الإعلام و آلة التصوير، الوصف و الصورة والتاريخ وطريقة توظيف اللغات الأجنبية، والرحلة والسيرة و الشعر.

### الكلمات المفتاحية :

السرد القصصي – الوصف – الحوار – مركزية الشعر والقران الكريم – وسائل النقل – وسائل الإعلام وآلة التصوير